التوحيد

■ مجلة ■ إسلامية ■ ثقافية ■ شهرية
تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية

حكم شراء الشقق بالتقسيط

العدد ٤٤٥ - السنة الثامنة والثلاثون - المحرم ١٤٣٠هـ - الثمن ١٥٠ قرشا

فضائل وآداب شهر اللّه المحرم

- كذب جمال البنا وتابعه متولي إبراهيم في الطعن على حديث: «أمرت أن أقاتل الناس ..»
- وقفة حساب مع مطلع عام جديد
- الكفاءة في الزواج

بسم الله الرحمن الرحيم

فاعلم أنه لا إله إلا الله

صاحبة الامتياز

جماعة أنصار السنة المحمدية

مجلة التوحيد

إسلامية - ثقافية - شهرية

السنة الثامنة والثلاثون العدد ٤٤٥ المحرم ١٤٣٠ هـ

■ رئيس مجلس الإدارة

د. جمال المراكبي

■ المشرف العام

د. عبدالله شاكر

■ اللجنة العلمية

د. عبدالعظيم بدوي

زكريا حسيني محمد

جمال عبدالرحمن

معاوية محمد هيكل

■ سكرتير التحرير

مصطفى خليل أبو المعاطي

التحرير

٨ شارع قولة - عابدين - القاهرة

ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ - فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

قسم التوزيع والاشتراكات

ت: ٢٣٩١٥٤٥٦

المركز العام

هاتف: ٢٣٩١٥٥٧٦ - ٢٣٩١٥٤٥٦

غلاف العدد

"السلام عليكم"

عندما يغتر الطغاة

كان أبو يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن أحد الملوك الموحدين بمراكش ، وكان بينه وبين الأدفونش النصراني صاحب طليطلة مكاتبات. فكان منها رسالة كتب بها الأدفونش إلى الأمير يعقوب يتوعده ويتهدده ويطلب منه بعض الحصون ؛قال: أما بعد .. فانه لا يخفى على ذي ذهن ثاقب أنك أمير الملة الحنيفة كما أنا أمير الملة النصرانية. وقد علمتَ ما عليه رؤساء المسلمين في الأندلس من التخاذل والتواكل والتكاسل وإهمالهم أمر الرعية وإخلادهم إلى الأمنية. وأنا أسومهم بحكم القهر إخلاء الديار وإسباء الذراري (يعني أسر الذرية)، وأمثل بالرجال وأذيقهم عذاب الهون وشديد النكال. ولا عذر لك في التخلف عن نصرتهم إذا أمكنتك يد القدرة ، وعساكرك وجنودك رأي وخبرة. وأنتم تزعمون أنّ الله تعالى قد فرض عليكم قتال عشرة منا بواحد منكم ، ونحن الآن نقاتل عشرة منكم بواحد منا ، إذ لا تستطيعون دفاعًا ولا تملكون امتناعًا. وقد حُكي عنك أنك تماطل نفسك سنة بعد أخرى ، وتقدم رِجْلاً وتؤخر أخرى. فلا أدري أكان الجُبن أبطأ بك أم التكذيب بما وعدك به ربك!

فلما وصل الكتاب إلى أمير المسلمين مزقه وكتب على قطعة منه: "ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون". الجواب ما ترى لا ما تسمع .

ثم أمر باستنفار الجيوش من الأمصار ،وعبَر من زقاق سبتة ودخل بلاد الإفرنج فكسرهم كسرة شنيعة وعاد بغنائمهم رحمه الله تعالى .

حقا لقد صار ذلك المغرور- كما يقول المثل العربي-: أذل من" الحذاء".

مفاجأة كبرى

لأول مرة نقدم للقارئ كرتونة كاملة تحتوي على ٣٧ مجلداً من مجلدات مجلة التوحيد عن ٣٧ سنة كاملة

التوزيع الداخلي: مؤسسة الأهرام وفروع أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير

جمال سعد حاتم

مدير التحرير الفني

حسين عطا القراط

ثمن النسخة

مصر ١٥٠ قرشاً، السعودية ٦ ريالات، الإمارات ٦ دراهم، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر ٦ ريالات، عمان نصف ريال عماني، أمريكا ٢ دولار، أوروبا ٢ يورو

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ٢٠ جنيها (بحوالة بريدية داخلية باسم مجلة التوحيد - على مكتب بريد عابدين).

٢- في الخارج ٢٠ دولارا أو ٧٥ ريالا سعوديا أو ما يعادلهما.

ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الإسلامي - فرع القاهرة - باسم مجلة التوحيد - أنصار السنة (حساب رقم / ١٩١٥٩٠).

البريد الإلكتروني

المجلة:

MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

رئيس التحرير:

GSHATEM@HOTMAIL.COM

GSHATEM@HYAHOO.COM

التوزيع والاشتراكات:

SEE2070@HOTMAIL.COM

موقع المجلة على الإنترنت:

WWW.ALTAWHED.COM

موقع المركز العام:

WWW.ELSONNA.COM

في هذا العدد

افتتاحية العدد: الرئيس العام ٢
كلمة التحرير: بقلم رئيس التحرير ٦
باب التفسير: د. عبد العظيم بدوي ١٠
باب السنة: زكريا حسيني محمد ١٣
«ليس كمثله شيء .. »: شوقي عبد الصادق ١٧
درر البحار: علي حشيش ٢١
فقه التغيير: د/عبد الله شاكر ٢٣
القصة في كتاب الله: عبد الرازق السيد عيد ٢٦
وسائل التغريب في بلاد الغرب: أسامة سليمان ٢٨
«الطفيل بن عمرو: نايف بن حمد ٣١
باب التراجم: فتحي أمين عثمان ٣٤
واحة التوحيد: إعداد: علاء خضر ٣٦
دراسات شرعية: متولي البراجيلي ٣٨
«كذب جمال البنا...» إعداد: محمود المركبي ٤٣
عقيدتنا في الصحابة: صلاح نجيب الدق ٤٦
باب الأسرة المسلمة: جمال عبد الرحمن ٥٠
تحذير الداعية من القصص الواهية ٥٣
الفتاوى ٥٧
المدخل إلى الفقه الإسلامي: د. حمدي طه ٦١
إعلام المصلين والولاة المستشار: أحمد السيد ٦٤
الإيمان بالكتب: محمد عبد الرحمن ٦٧
من محبطات الأعمال: عبده أحمد الأقرع ٧٠

منفذ البيع الوحيد بمقر مجلة التوحيد الدور السابع

٦٨٠ جنيهاً ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات داخل مصر

٢٣٠ دولار لمن يطلبها خارج مصر شاملة سعر الشحن

فضائل وآداب شهر الله المحرم

د. جمال المراكبي

بقلم/ الرئيس العام

WWW.ELMARAKBY.COM

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على الرسول الأمين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن الله سبحانه وتعالى فضل بعض الأيام والشهور على بعض، فخير الأيام عند الله يومُ النحر، وهو يومُ الحج الأكبر كما في «السنن» عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «أَفْضَلُ الأَيَّام عِنْدَ اللهِ يَوْمُ النَّحْرِ، ثُمَّ يَوْمُ القَرِّ». وقيل: يومُ عرفة أفضلُ منه، وهذا هو المعروف عند أصحاب الشافعي قالوا: لأنه يومُ الحج الأكبر، وصيامُه يكفر سنتين، وما منْ يَوْمٍ يَعْتقُ اللهُ فيه من الرقاب مثل يوم عرفة. وكذلك فضل عشر ذي الحجة على غيره من الأيام، فإنَّ أيامه أفضلُ الأيام عند الله، وقد ثبت في الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ أَيَّامٍ العَمَلُ الصَّالح فيهَا أَحَبُّ إِلَى الله مِنْ هذه الأيَّام العَشْرِ» قَالُوا: وَلاَ الجِهَادُ في سَبِيلِ الله؟ قَالَ: «وَلاَ الجِهَادُ في سَبِيلِ الله، إلاَّ رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِه وَمَالِه، ثُمَّ لَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلكَ بِشَيْءٍ». [رواه ابن حبان والبيهقي، وصححه الألباني].

وهي الليالي العشر التي أقسم الله بها في كتابه بقوله: «وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ» [الفجر: ٢،١] ولهذا يستحب فيها الإكثار من التكبير والتهليل والتحميد، كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَأَكْثِرُوا فِيهِنَّ مِنَ التَّكْبِيرِ وَالتَّهْلِيلِ وَالتَّحْمِيدِ».

وَمِنْ ذَلك تفضيلُ شهر رمضان على سائر الشهور، وتفضيلُ عشره الأخير على سائر الليالي، وتفضيلُ ليلة القدر على ألف شهر. هذا وقد فضل الله شهر المحرم بأن نسبه إليه وجعله شهرا حراما وجعل الصيام فيه أفضل من غيره من الشهور بعد الفريضة. قال الله تعالى: «إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَات وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلاَ تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُواْ الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (٣٦) إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلِّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِّيُوَاطِؤُواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ اللّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ» [التوبة: ٣٦، ٣٧].

وقد أجمع العلماء على أن الأشهر الأربعة المذكورة هي رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وقد اختلف في الابتداء بعددها فذهب أهل المدينة إلى أنه يبتدأ بذي القعدة فيقال ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب ويحتجون على ذلك بأن النبي عدها في خطبة حجة الوداع كذلك فقال السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاثة متواليات وواحد فرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب واختاره أبو جعفر النحاس.

وذهب أهل الكوفة إلى أنه يبتدأ بالمحرم فيقال المحرم ورجب وذو القعدة وذو الحجة ليأتوا بها من سنة واحدة. وكانت العرب في الجاهلية مع ما هم عليه من الضلال والكفر يعظمون هذه الأشهر ويحرمون القتال فيها حتى لو لقي الرجل فيها قاتل أبيه لم يهجه

إلى أن حدث فيهم النسيء فكانوا ينسئون المحرم فيؤخرونه إلى صفر فيحرمونه مكانه وينسئون رجبا فيؤخرونه إلى شعبان فيحرمونه مكانه ليستبيحوا القتال في الأشهر الحرم.

واعلم أنه يجوز أن يضاف لفظ شهر إلى جميع الأشهر فيقال شهر المحرم وشهر صفر وشهر ربيع الأول وكذا في البواقي على أن منها ثلاثة أشهر لم تكد العرب تنطق بها إلا مضافة إليها وهي شهرا ربيع وشهر رمضان ويؤيد ذلك في رمضان ما ورد به القرآن من إضافته قال تعالى: «شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ» [البقرة: ١٨٥].

ويقال في المحرم أيضا شهر الله المحرم ويقال في الربيعين ربيع الأول وربيع الآخر وفي الجمادين جمادى الأولى وجمادى الآخرة.

قال النحاس: وإنما قالوا ربيع الآخر وجمادى الآخرة ولم يقولوا ربيع الثاني وجمادى الثانية كما قالوا السنة الأولى والسنة الثانية لأنه إنما يقال الثاني والثانية لما له ثالث وثالثة ولما لم يكن لهذين ثالث ولا ثالثة قيل فيهما الآخر والآخرة كما قيل الدنيا والآخرة.

ويقال في رجب الفرد لانفراده عن بقية الأشهر الحرم ويقال فيه أيضا رجب مضر الذي بين جمادى وشعبان، ويقال في شعبان: المكرم لتكرمته وعلو قدره، وفي رمضان: المعظم لعظمته وشرفه، وفي شوال: المبارك للفرق بينه وبين شعبان خشية الالتباس في الكتابة، ويقال في كل من ذي القعدة وذي الحجة الحرام كما قال النبي في خطبة عرفة:«أي يوم هذا؟ فسكتنا حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: أليس يوم الحج الأكبر؟ قلنا: بلى. ثم قال: أي شهر هذا؟ فسكتنا حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، فقال: أليس شهر الله المحرم ؟ قلنا: بلى».

◻◻ صوم المحرم ◻◻

عن حميد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال:«أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم». رواه مسلم.

قَالَ الْحَافِظ أَبُو الْفَضْل الْعِرَاقِيّ فِي شَرْح التِّرْمِذِيّ: الْحِكْمَة فِي تَسْمِيَة الْمُحَرَّم شَهْر اللَّه وَالشُّهُور كُلّهَا لِلَّهِ، يَحْتَمِل أَنْ يُقَال: إِنَّهُ لَمَّا كَانَ مِنْ الْأَشْهُر الْحُرُم الَّتِي حَرَّمَ اللَّه فِيهَا الْقِتَال وَكَانَ أَوَّل شُهُور السَّنَة أُضِيفَ إِلَيْهِ إِضَافَة تَخْصِيص، وَلَمْ يَصِحّ إِضَافَة شَهْر مِنْ الشُّهُور إِلَى اللَّه تَعَالَى عَنْ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا شَهْر اللَّه الْمُحَرَّم. وقال البغوي: نسبه إلى نفسه على جهة التعظيم مع أن الشهور كلها لله، كما قال الله سبحانه وتعالى: «نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا» [الشمس: ١٣]. وكان سفيان بن عيينة يقول في قوله عز وجل: «وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ» [الأنفال: ٤١]، نسب المغنم إلى نفسه لأنه أشرف الكسب، ولم يقل ذلك في الصدقة، فقال: «إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ» [التوبة: ٦١] ولم يقل: لله، لأنها أوساخ الناس، واكتسابها مكروه إلا للمضطر إليها.

قال ابن رجب: ولما كان هذا الشهر مختصاً بإضافته إلى الله تعالى، وكان الصيام من بين الأعمال مضافاً إلى الله تعالى، ناسب أن يختص هذا الشهر المضاف إلى الله بالعمل المضاف إليه المختص به وهو الصيام.

وقال السيوطي: سئلت لم خص المحرم بقولهم: شهر الله دون سائر الشهور مع أن فيها ما يساويه في الفضل أو يزيد عليه كرمضان ووجدت ما يجاب به أن هذا الاسم إسلامي دون سائر الشهور فإن أسماءها كلها على ما كانت عليه في الجاهلية وكان اسم المحرم في الجاهلية صفر الأول، والذي بعده صفر الثاني فلما جاء الإسلام سماه الله المحرم فاضيف إلى الله بهذا الاعتبار وهذه الفائدة لطيفة رأيتها في الجمهرة.

قال القرطبي: إنما كان صوم المحرم أفضل الصيام من أجل أنه أول السنة المستأنفة فكان استفتاحها بالصوم الذي هو أفضل الأعمال.

فإن قلت: قد ثبت إكثار النبي ﷺ من الصوم في شعبان وهذا الحديث يدل على أن أفضل الصيام بعد صيام رمضان صيام المحرم، فكيف أكثر النبي ﷺ منه في شعبان دون المحرم ؟ قلت: لعله لم يعلم فضل المحرم إلا في آخر الحياة قبل التمكن من صومه، أو لعله كان يعرض فيه أعذار تمنع من إكثار الصوم فيه كسفر ومرض وغيرهما كذا نقله النووي رحمه الله في شرح مسلم عن القرطبي.

قال ابن رسلان: فإن قيل كيف كان رسول الله ﷺ يخص شعبان بصيام التطوع فيه مع أنه قال أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم فالجواب أن جماعة أجابوا عن ذلك بأجوبة غير قوية لاعتقادهم أن صيام المحرم أفضل من شعبان كما صرح به الشافعية وغيرهم، كما قال النووي: أفضل الشهر للصوم بعد رمضان الأشهر الحرم، وأفضلها المحرم، ويلي المحرم في الفضل رجب، والأظهر كما قال بعض الشافعية والحنابلة وغيرهم أن أفضل الصيام بعد شهر رمضان شعبان لمحافظته ﷺ على صومه أو صوم أكثره فيكون قوله أفضل الصيام بعد رمضان المحرم محمولا على التطوع المطلق وكذا أفضل الصلاة بعد المكتوبة قيام الليل إنما أريد به تفضيل قيام الليل على التطوع المطلق دون السنن والرواتب التي قبل الفرض وبعده خلافا لبعض الشافعية، فكذلك ما كان قبل رمضان أو بعده من شوال تشبيها له بالسنن والرواتب. اهـ.

فمن أحب أن يصوم أفضل الصيام بعد شهر رمضان، فعليه أن يصوم في شهر الله المحرم، فصوم يوم من هذا الشهر أفضل من صوم أي يوم من أيام العام، ولا يُفهم من هذا القول أنه يُلغي أو يُبطل أفضلية صيام ما ورد الشرع بذكره والتنويه به وبيان فضله، مثل صيام الأيام البيض، أو صيام يومي الاثنين والخميس، أو

صيام يوم عرفة، فالتنويه بشيء ليس بالضرورة ملغياً فضيلة غيره. ثم إن قولنا إن الصيام في المحرَّم أفضل الصيام، يعني تفضيل شهر المحرم في الصوم على غيره من الأشهر على العموم، ويبقى التنويه بأنواعٍ من الصيام على حاله من الفضل، وفي العاشر من هذا الشهر يومُ عاشوراء وصيامُه يكفِّر السنة التي قبله.

أحاديث في فضل الصوم في هذا الشهر

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرَّم». وعنه رضي الله عنه يرفعه «قال: سُئل: أي الصلاة أفضل بعد المكتوبة؟ وأي الصيام أفضل بعد شهر رمضان؟ فقال: أفضل الصلاة بعد الصلاة المكتوبة الصلاة في جوف الليل، وأفضل الصيام بعد شهر رمضان صيام شهر الله المحرم».

عن النعمان بن سعد عن علي رضي الله عنه قال «سأله رجل فقال: أي شهر تأمرني أن أصوم بعد شهر رمضان؟ فقال له: ما سمعت أحداً يسأل عن هذا إلا رجلاً سمعته يسأل رسول الله ﷺ وأنا قاعد عنده فقال: يا رسول الله: أيَّ شهر تأمرني أن أصوم بعد شهر رمضان؟ قال: إن كنتَ صائماً بعد شهر رمضان، فصم المحرَّم فإنه شهر الله فيه يومٌ تاب الله فيه على قوم ويتوب فيه على قوم آخرين». رواه الترمذي. وقال: هذا حديث حسن غريب. وأقرَّ المنذري تحسين الترمذي له. ورواه أحمد بلفظ عن علي قال: «أتى النبيَّ ﷺ رجلٌ فقال: يا رسول الله أخبرني بشهر أصومُه بعد رمضان؟ فقال رسول الله ﷺ: إن كنتَ صائماً شهراً بعد رمضان فصم المحرَّم، فإنه شهر الله، وفيه يوم تاب فيه على قوم، ويُتاب فيه على آخرين».

حدث في شهر الله المحرم

١- نجاة موسى ومن معه من المؤمنين من فرعون:
فإن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قدم المدينة، ووجد اليهود يصومون يوم العاشر من المحرم، فسألهم: لماذا تصومون؟ قالوا: إنه يوم نجى الله فيه موسى وقومه وأهلك فرعون وقومه، فنصومه شكراً لله، فقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «نحن أولى بموسى منكم»، ثم صامه وأمر بصيامه.
٢- سرية أبي سلمة بن عبد الأسد إلى طليحة الأسدي سنة ٤ هـ.
وعاد أبو سلمة وقد نفر عليه جرح كان قد أصابه في أحد، فلم يلبث حتى مات.
٣- سرية محمد بن مسلمة قبل نجد، وهي التي أسر فيها ثمامة بن أثال سنة ٦ هـ.
وكانت أول سرية بعد الفراغ من الأحزاب وقريظة، وكان عدد قوات هذه السرية ثلاثين راكباً.
٤- خروجه ﷺ إلى خيبر سنة ٧ هـ.
٥- زواجه ﷺ بصفية بنت حيي بن أخطب رضي الله عنها.
٦- وفاة أبي قحافة التيمي والد أبي بكر الصديق رضي الله عنهما سنة ١٤هـ.
٧- وفاة مارية أم إبراهيم بن رسول الله ﷺ سنة ١٦هـ.
٨- قتل الحسين رضي الله عنه يوم الجمعة، العاشر من المحرم، سنة ٦١هـ.

بداية التاريخ الهجري

اتفق المسلمون على أن يكون هذا الشهر هو افتتاح السنة، وذلك أن الناس فيما سبق حتى في أول عهد الإسلام كانوا لا يؤرخون، فأمة العرب أمة أمية لا تقرأ ولا تكتب، ربما يؤرخون مثلاً بعام الفيل، فيقولون: هذا حصل عام الفيل، لكن في عهد عمر رضي الله عنه عندما اتسعت رقعة الإسلام شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً، وصارت الرسائل تأتيه، ويشتبه عليه: هل هذه الرسالة قبل الرسالة الأخرى أو بعدها؟ قال: لا بد من تاريخ، فتشاوروا كعادتهم في النوازل: من أين نبدأ التاريخ؟ هل من مولد النبي عليه الصلاة والسلام، أو من بعثته، أو من هجرته؟ إن بدأ من مولده صار المسلمون أتباعاً للنصارى؛ لأن النصارى ابتدءوا التاريخ من مولد عيسى، والمسلمون أمة مستقلة، ذات طابع خاص،وكيان خاص متميزة عن غيرها. قالوا: إذاً نبدأ من البعثة؛ لأن ببعثته بدأ النور ينزل على هذه الأمة: «وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً» [النساء:١٧٤] فيكون من البعثة، ولكن البعثة لم يظهر فيها للإسلام دولة، ونحن نريد أن نؤرخ تاريخاً خاصاً بدولة الإسلام، والدولة لم تكن إلا بعد الهجرة، فإنه بعد الهجرة صار للأمة الإسلامية بلد خاص مستقل. قالوا: إذاً يكون ابتداء التاريخ من الهجرة التي تكونت بها الدولة الإسلامية. ثم اختلفوا اختلافاً آخر قالوا: من أي الشهور؟ قال بعضهم: من شهر رمضان؛ لأنه الشهر الذي أنزل فيه القرآن. وقال آخرون: بل من شهر ربيع الأول؛ لأن ربيعاً الأول هو الذي ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وهو الذي كانت فيه هجرة الرسول عليه الصلاة والسلام، وهو الشهر الذي توفي فيه الرسول عليه الصلاة والسلام، ولكن يخشى أن يكون هذا ذكرى لوفاته، ثم اختاروا أن يكون ابتداء التاريخ من المحرم؛ لأنه الذي ينصرف فيه المسلمون من أداء آخر أركان الإسلام وهو الحج، فكان شهر ذي الحجة به تمام الأركان، فبدأوا التاريخ من شهر المحرم.

عاشوراء بين السنة والبدعة

أولاً: صوم عاشوراء

روى البخاري في صحيحه، باب صوم عاشوراء: عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان يوم عاشوراء

تصومه قريش في الجاهلية وكان رسول الله ﷺ يصومه فلما قدم المدينة صامه وأمر بصيامه فلما فرض رمضان ترك يوم عاشوراء فمن شاء صامه ومن شاء تركه».

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال:«قدم النبي ﷺ المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء فقال:«ما هذا؟» قالوا هذا يوم صالح، هذا يوم نجى الله بني إسرائيل من عدوهم فصامه موسى، قال:«فأنا أحق بموسى منكم» فصامه وأمر بصيامه.

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: كان يوم عاشوراء تعده اليهود عيداً قال النبي ﷺ:«فصوموه أنتم».

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال:«ما رأيت النبي ﷺ يتحرى صيام يوم فضله على غيره إلا هذا اليوم يوم عاشوراء وهذا الشهر يعني شهر رمضان».

وعن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال:«أمر النبي ﷺ رجلا من أسلم أن أذن في الناس أن من كان أكل فليصم بقية يومه ومن لم يكن أكل فليصم فإن اليوم يوم عاشوراء».

وعن إِسْمَاعِيلُ بْنِ أُمَيَّةَ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا غَطَفَانَ بْنَ طَرِيفٍ الْمُرِّيَّ يَقُولُ سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ - رضي الله عنهما - يَقُولُ حِينَ صَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ عَاشُورَاءَ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ يَوْمٌ تُعَظِّمُهُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَإِذَا كَانَ الْعَامُ الْمُقْبِلُ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - صُمْنَا الْيَوْمَ التَّاسِعَ». قَالَ فَلَمْ يَأْتِ الْعَامُ الْمُقْبِلُ حَتَّى تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ - رضي الله عنهما - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَئِنْ بَقِيتُ إِلَى قَابِلٍ لأَصُومَنَّ التَّاسِعَ».

قال الحافظ في الفتح: الأكثر على أن عاشوراء هو اليوم العاشر من شهر الله المحرم وهو مقتضى الاشتقاق والتسمية وقيل هو اليوم التاسع فعلى الأول فاليوم مضاف لليلته الماضية، وعلى الثاني هو مضاف لليلته الآتية، وقيل: إنما سمي يوم التاسع عاشوراء أخذاً من أوراد الإبل كانوا إذا رعوا الإبل ثمانية أيام ثم أوردوها في التاسع قالوا: وردنا عشراً، بكسر العين.

وروى مسلم من طريق الحكم بن الأعرج انتهيت إلى بن عباس وهو متوسد رداءه فقلت أخبرني عن يوم عاشوراء قال إذا رأيت هلال المحرم فاعدد وأصبح يوم التاسع صائماً. قلت: أهكذا كان النبي ﷺ يصومه؟ قال: نعم وهذا ظاهره أن يوم عاشوراء هو اليوم التاسع. لكن قال الزين بن المنير: قوله: إذا أصبحت من تاسعة فأصبح يشعر بأنه أراد العاشر لأنه لا يصبح صائما بعد أن أصبح من تاسعة إلا إذا نوى الصوم من الليلة المقبلة وهو الليلة العاشرة.

قلت: ويقوى هذا الاحتمال ما رواه مسلم أيضاً من وجه آخر عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «لئن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع». فمات قبل ذلك، فإنه ظاهر في أنه ﷺ كان يصوم العاشر وهم بصوم التاسع فمات قبل ذلك ثم ما هم به من صوم التاسع يحتمل معناه أنه لا يقتصر عليه بل يضيفه إلى اليوم العاشر إما احتياطا له وإما مخالفة لليهود والنصارى وهو الأرجح وبه يشعر بعض روايات مسلم ولأحمد من وجه آخر عن ابن عباس مرفوعا صوموا يوم عاشوراء وخالفوا اليهود صوموا يوماً قبله أو يوماً بعده وهذا كان في آخر الأمر، وقد كان ﷺ يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه بشيء ولا سيما إذا كان فيما يخالف فيه أهل الأوثان فلما فتحت مكة واشتهر أمر الإسلام أحب مخالفة أهل الكتاب أيضاً كما ثبت في الصحيح، فهذا من ذلك، فوافقهم أولاً، وقال: نحن أحق بموسى منكم. ثم أحب مخالفتهم فأمر بأن يضاف إليه يوم قبله ويوم بعده خلافا لهم، ويؤيده رواية الترمذي من طريق أخرى بلفظ أمرنا رسول الله ﷺ بصيام عاشوراء يوم العاشر، وقال بعض أهل العلم قوله ﷺ في صحيح مسلم لئن عشت إلى قابل لأصومن التاسع يحتمل أمرين أحدهما أنه أراد نقل العاشر إلى التاسع والثاني أراد أن يضيفه إليه في الصوم فلما توفي ﷺ قبل بيان ذلك كان الاحتياط صوم اليومين وعلى هذا فصيام عاشوراء على ثلاث مراتب أدناها أن يصام وحده وفوقه أن يصام التاسع معه وفوقه أن يصام التاسع والحادي عشر، والله أعلم.

ثانيا: بدع عاشوراء

قال ابن رجب: وكل ما رُوي في فضل الاكتحال في يوم عاشوراء والاختضاب والاغتسال فيه فموضوع لا يصح. وأما التوسعة فيه على العيال فقال حرب: سألت أحمد عن الحديث الذي جاء: «من وسع على أهله يوم عاشوراء» فلم يره شيئا. وقال العقيلي: هو غير محفوظ وقد روي عن عمر من قوله وفي إسناده مجهول لا يعرف.

وأما اتخاذه مأتما كما تفعله الرافضة لأجل قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما فيه فهو من عمل من ضل سعيه في الحياة الدنيا وهو يحسب أنه يحسن صنعاً، ولم يأمر الله ولا رسوله باتخاذ أيام مصائب الأنبياء وموتهم مأتما فكيف بمن دونهم.

والله سبحانه وتعالى يعلم أننا نحب الحسين ونتولاه في الدنيا والآخرة ونحب كل آل بيت رسول الله ﷺ ونعلم أن الحسين قُتل شهيداً مظلوماً، ونبرأ إلى الله عز وجل ممن قتله، ونبرأ كذلك من منهج أهل الضلالة الذين يتاجرون بدم الحسين وهو منهم ومن مناهجهم براء.

والله من وراء القصد.

كلمة التحرير

وقفة حساب

الحمد لله رب البريات، المحمود في جميع الحالات، المرتجى منه الخيرات، المستعان على الكربات، جلت قدرته على القدرات، وامتاز اسمه على المسميات، أحمده حمد عبد معترف بتقصيره في الواجبات، وأستعينه استعانة عبد معترف بقصوره في الواجبات، وبعد:

فما من يوم يَنشقُّ فجره إلا وينادي: يا ابن آدم، أنا خلق جديد، وعلى عملك شهيد، فتزود مني فإني إذا مضيت لا أعود إلى يوم القيامة.

وها نحن نستقبل داخل طيات أعمارنا أيامًا تشهد علينا، أو تشهد لنا، أيامًا تطوي صفحة عام، طوتْ الأرض فيه ما شاء الله أن تطوي، ممن كانوا بالأمس القريب يمرحون ويفرحون معنا، ثم انفلتت سهامهم في الحياة وحظوظها.

ومن تلوح لهم في الآفاق ذكريات رجلين يَشُقَّان غُبار الصحراء، وسيظل التاريخ والسير يخور في جهادهما إلى قيام الساعة، إنه سيد البشر محمد ﷺ، ورفيق كفاحه الصديق أبو بكر رضي الله عنه، وعن بقية أصحاب رسول الله ﷺ أجمعين، ويجوبان الفيافي والقفار لتأسيس أمة على دعائم التوحيد، على دعائم الطهر والنقاء والحب والإخاء؟!

سنظل نتقتدي بآثارهم ونتتبع خطواتهم ونسير على دربهم.

وفي وقفة حساب ونهاية عام يرحل بكل ما حمل أبى العام أن ينتهي قبل أن توجه لبوش الابن الذي استهل فترة رئاسته بتدمير لبرجي التجارة العالميين، وها هو ينهيها نهاية مذلة مهينة، إنها إرادة الله ومشيئته، «قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» (آل عمران: ٢٦).

وعندما أعلن بوش الصليبي المستفز أنه يعتذر أنه بنى حربه على العراق على معلومات خاطئة فنال ما لا يتمنى، ووقع ضحية للوهم الذي حاول تسويقه عالميًا لعدة سنوات، أراد أن يُودع أرض أمجاده وأوهامه في حفاوة تليق بحجم ما أنجز وترحاب يكافئ عدد الضحايا العراقيين والأمريكيين والمسلمين في كل مكان في العالم، ولكن المفارقة وحدها هي التي وضعت زيارته للعراق في دائرة ضوء مجهر سوف يلاحقه لسنوات طويلة.

فلقد أضاءت هذه الزيارة فردتا حذاء لصحفي عراقي يبدو أنه انتظر تلك اللحظة طويلاً على مرأى ومسمع من العالم بأسره ليكمل الزيارة الأخيرة في ولايته وينال جائزة انتصاراته - المزعومة -، فقد خرج من العراق بما قدر الله له أن يكون، «لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ» [البقرة: ١١٤]، «وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ» [الحج: ١٨].

توديع واستقبال.. والفائز من فهم السؤال

ها نحن نستقبل عامًا ونودع آخر، وحري بمن ينتسبون للإسلام أن يقفوا متأملين برهةً مع أنفسهم، وقفة المراقبة والمحاسبة، وليسأل كل منا نفسه كم زلة وهفوةٍ وسقطة، وكم منكرًا ومعصية سواءً في حق الله تعالى أو في حق عباد الله صدر منه في عامه هذا ؟

اسأل نفسك: «بَلِ الإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ» [القيامة: ١٤]، أترضى فراق عامك هذا وحالك هكذا؟ كم من المال بدون حق أخذت، كم مسلمًا اغتبته وخضت في عرضه ؟! كم كذبة كذبتها وعلى العباد دلّستها؟! كم

مع مطلع عام جديد

بقلم
رئيس التحرير
جمال سعد حاتم

وزرًا شاركت فيه ؟! كم وجهًا لَبِسْتَهُ من وجوه المنافقين؟! كم سَكَتَّ على الحق وأنت به عالمٌ ومسئول؟ وكم.. وكم؟

فلتبادر بالتوبة والإنابة، واللجوء والفرار إلى الله قبل فوات الأوان، فالتوبة تجب ما قبلها، ولا تنس رد الحقوق إلى أصحابها، أقبل على الله علام الغيوب، وعلى النية الصادقة على فعل الخيرات، وترك المنكرات: «إِلاَّ مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا» *[الفرقان: ٧٠]*.

□□ والفائز من فهم السؤال □□

فهل تستقبل عامك الجديد متذكرًا الموت وسكراته ؟ وشَدَّة هوله وكُرُباته ؟ وشدة نزع الروح منك ؟ فالموت كما قيل: أشدُّ من ضرب السيوف، ونشر بالمناشير، وقرض بالمقاريض، فتفكر وتذكر يا مغرور في الموت وسكراته، وصعوبة كأسه ومرارته، فللموت موعد ما أصدقه، وهو حاكم ما أعدله، فالموت لا يخشى أحداً، ولا يبقي على أحد، ولا تأخذه شفقة على أحد، فقف مع نفسك وقفة صادقة للمحاسبة.

نستقبل عامنا الجديد فهل تذكرت القبر وظلمته؟ وضيقه ووَحْشَته ؟ هل تذكرت ذلك المكان الضيق الذي يَضُمُّ بين جوانبه جثث الموتى من عظيم وحقير، وحكيم وسفيه ؟ وصالح وطالح ؟ وبر وفاجر؟ ورئيس ومرؤوس ؟ فالقبر إما روضة من رياض الجنة، أو حُفرة من حفر النار.

تذكر حين توضع في قبرك، وقد جُرِدْتَ من الثياب، وتوسَدْتَ التراب، وفارقت الأهل والأحباب، وتركت الأصحاب، ولم يكُنْ مَعَكَ أنيسٌ أو جليسٌ إلا عملك الذي قدمته في الدنيا، ماذا تُحب أن تقدم لنفسك وأنت في زمن الإمهال حتى تجده في انتظارك يوم انتقالك إلى قبرك: «يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ» *[آل عمران: ٣٠]*.

□□ وقفة في تعاقب السنين □□

إن المسافر حين يجتاز مرحلة طويلة من الطريق فيحط الرحال، ويقف ليستريح يلتفت وراءه ليرى كم قطع ! وينظر أمامه ليرى ويبصر كم بقي !

والتاجر تنتهي سنته، فيقيم موازينه، ويحسب غَلَتَّهُ ليعلم ماذا ربح وماذا خسر ! قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ» *[الحشر: ١٧]*. فما أحرانا أن نكون أشدُّ حرصًا على أعمارنا وأوقاتنا من التجار والصناع وغيرهم، قال الإمام الحسن البصري رحمه الله: «أدْرَكْتُ أقوامًا كان أحدُهم أشَحَّ على عمره منه على درهمه». *[شرح السنة للبغوي]*.

ينقضي العام فنظن أننا عشناه وزدنا عامًا، وفي الحقيقة قد فقدنا ونقصنا عامًا من أعمارنا، وربما يعجب من هذا الكلام ! وهو حق، قال الحسن البصري: «يا ابن آدم، إنما أنت أيامٌ، كلما ذهب يومٌ ذهب بعضك». *[حلية الأولياء ٢ / ١٤٨]*.

فكل عام يمضي من أعمارنا نقترب به من الموت، ونهاية المطاف أشبه بالموظف الذي يأخذ إجازة ثلاثين يومًا، إذا قضى منها عشرة أيام يكون قد خسر منها عشرة أيام فصارت عشرين يومًا، فإذا انقضت الإجازة فكأنها لم تكن.

إن أنت لم تـــــزرع وأبـــــصـــــرت حـــــاصـــــدًا
نـــدمْتَ عـــلـى الـــتـــفـــريط في زمن الــــبـــذر

لا يأتي عام إلا والذي بعده شر منه

عام ينقضي بكل ما حمل في طياته من آلام وآمال، ويأتي عام آخر نتذكر معه قول النبي ﷺ: «لا يأتي زمانٌ إلا والذي بَعْدَهُ أشرُّ منه حتى تلقوا ربكم». [فتح الباري ١٣ / ١٩ / ٢٠].

وهذا الحديث من أعلام النبوة ؛ لإخباره ﷺ بفساد الأحوال، وذلك من الغيب الذي لا يُعلم بالرأي وإنما يُعلم بالوحي، والمقصود لا يأتي زمان إلا والذي بعده أشر منه، مثل كثرة الفتن، وابتعاد الناس عن معين الشريعة وانغماسهم في المعاصي كلما مرت السنون والأعوام.

ويقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه معلقًا على قوله ﷺ: «لا يأتي عليكم يوم إلا وهو شر من اليوم الذي كان قبله حتى تقوم الساعة»: لستُ أعني رجاءً من العيش يصيبه ولا ما لا يفيده، ولكن لا يأتي عليكم يوم إلا وهو أقل علمًا من اليوم الذي مضى قبله، فإذا ذهب العلماء استوى الناس فلا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر، فعند ذلك يهلكون. ومصداق ذلك قوله ﷺ: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من صدور العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالمًا اتخذ الناس رؤوسا جهالاً فسئلوا، فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا». [البخاري ومسلم].

يا غافلا.. أفق وانتبه قبل الرحيل

إن الناظر في حال الناس اليوم يرى رُخص النفوس عند أهلها، ويرى الخسارة في حياتها لعدم محاسبتها، والذين فقدوا أو تركوا محاسبة نفوسهم سيتحسرون في وقت لا ينفع فيه التحسر، يقول جل شانه: «أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ» [الزمر: ٥٦]، وترك محاسبة النفس من تسلط الشيطان الذي دعا إلى المعصية، وحذر من الطاعة، وزين الباطل، وثبط عن العمل الصالح وصدَّ عنه، وبترك محاسبة النفس تمكنت الغفلة من الناس، فأصبح لهم قلوبٌ لا يفقهون بها، وأعين لا يبصرون بها، وآذان لا يسمعون بها، أولئك كالأنعام بل هم أضل، أولئك هم الغافلون.

يقول جل وعلا: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ» [الحشر: ١٨]، وترك المحاسبة يقود إلى الهلاك، وهذه حال أهل الغرور، يُغمضُ عينيه عن العواقب متكلاً على العفو، فيهمل محاسبة نفسه والنظر في العاقبة، وإذا فعل ذلك سَهُلَ عليه مواقعة الذنوب، وأنس بها وعَسُرَ عليه فِطَامُها ولو حَضَرَهُ رُشْدُهُ لعلم أن الحمية أسهلُ من الفطام وترك المألوف والمعتاد.

وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى بعض عماله: «حاسب نفسك في الرخاء قبل حساب الشدة، فإن من حاسب نفسه في الرخاء قبل حساب الشدة، عاد أمره إلى الرضا والغبطة، ومن ألهته حياته وشغلته أهواؤه عاد أمره إلى الندامة والخسارة».

لا تغرنكم زخارف الكريسماس

نودع عامًا وفي ختام عامنا يُرى هلال جديد منير، يَطْوي يومًا أخيرًا في شهر أقسم المولى الجليل بعشر منه هي أفضل أيام الدنيا !!

فلا يُغرنكم زخارف الكريسماس، وهدايا البابا نويل عن إشراقات هجرة سيد الورى، وخير من وطئ

الثرى، محمد بن عبد الله ﷺ . فإن كلمة الله وروحه المسيح عليه السلام، بريء من هؤلاء، وسينزل من السماء، ليصلي مع أتباع محمد ﷺ ! فليهنئ نفسه من طوى عامه على هجرة مباركة كثرت فيها صحائفه البيضاء وليعاهد نفسه على صفحة جديدة من قصر وأساء، وسلام على المرسلين، البرآء من كل من بدل وحرفَ وذل لهواه وانحرف، «وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ» *[الشعراء: ٢٢٧]*.

العام الهجري ضيف محبب للنفس

نستقبل عامًا جديدًا، ولئن دار الزمان دورته فإن العام الهجري الجديد ضيف محبب لطيف ومَغْنَم آهِلٌ وريفٌ. فيه الأمل والانشراح، والتفاؤل والارتياح، وهجر للمآسي والجراح، ولكن بكل آسى انبلج صُبح هذا العام الجديد، ولم تختط أمتنا الإسلامية بعد سبيلاً يبلغ بها معارج العزة والصلاح، ولم تقم لها عزًا يعصمها من تطاول الطامع والمحتاج، ومع هذه الخطوب الوشيكة الملمة والعواطف المحدقة المدلهمة يبقى التفاؤل ديدننا والأمل المشرق رائدنا، أما دماء الأمة فبالتوحيد تجري، وأما قلوبها فبالإيمان تثري، «وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ» *[الصف: ٨]*.

نستقبل عامنا الجديد راجين الله سبحانه أن تكون مناسبة الهجرة النبوية خير أوان للتصحيح والمراجعة، وأفضل زمان للتصفية والمحاسبة، لتدرك الأمة أن تأسيس الأمور وإحكامها وتمهيد القواعد وإتمامها رهين استعصامها بكتاب ربها واستمساكها بسنة نبيها ﷺ .

التطلعات للخروج من الفتن !!

نستقبل عامنا الجديد ولن تستبدل الأمة ضعفها بالقوة، وهواها بالعزة إلا إذا عادت الأمة إلى ذلك الطراز العالي الذي سطره السلف في العصور الخوالي، أعني إبراز الحقائق والمحاسن لهذا الدين، والتي سعد بها المصطفى ﷺ وأصحابه، رضي الله عنهم، وأسعدوا بها العالم قرونًا من الزمان، وسيصلح الله شأننا إذا نظرنا في مرآة الشريعة ما عشنا، ومما يعين على امتثال ذلك لزوم المصداقية مطلقًا مع النفس والمجتمع والأمة في القول والعمل، «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ» *[التوبة: ١١٩]*، وما ازدهار الأمم ورفعتها إلا ثمرة الأعمال المخلصة التي يقدمها المخلصون البررة وبنوها الصادقون المهرة.

فما أحوج الأمة الإسلامية اليوم وهي تتفيأ ظلال عام جديد مفعم بالتفاؤل والتطلعات للخروج عن الفتن والمشكلات وتجاوز العقبات والأزمات ومواجهة التحديات والنكبات أن تقرأ تاريخها إذ فيه العز.

استفتحوا عامكم بالتوبة والإنابة والرجوع إلى المولى عز وجل والندم على ما فات، وخذوا من مرور الليالي والأعوام عبرًا، ومن تصرُّم الشهور والأعوام مدكرًا ومزدجرًا، وإياكم والغفلة عن الله والدار الآخرة.

والله تعالى المسئول أن يجعل هذا العام عام خير وبركة، ونصر وتمكين للإسلام والمسلمين، وعام أمن وأمان وعدل وسلام للإنسانية قاطبة، وأن يجمع فيها كلمة المسلمين، ويوحد صفوفهم، ويطهر مقدساتهم، وينصرهم على أعدائهم، إنه خير مسئول وأكرم مأمول.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

تفسير سورتي القدر والبينة

إعداد: د/ عبدالعظيم بدوي

يقول تعالى: «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣) تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ (٤) سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ» [القدر: ١ - ٥].

بين يدي السورة

سورةٌ مكيّة، تتحدثُ عن هذه الليلة ذات القدر، التي خُصّتْ بتنزيلِ الكتاب من الله العزيز العليم، فهي حقًا ليلة القدر، وقد اشتملت على عظيم رحمة الله بعباده، فتنزلت فيها الآيات الأولى من القرآن الذي هو رحمةٌ للمؤمنين، وجعلها الله لهم خيرًا من ألف شهر، فمن فعل فيها خيرًا كانت له خيرًا من ألف شهر، ولا يُحرم الخير فيها إلا محروم.

تفسير الآيات

يخبر الله تعالى أنه أنزل القرآن في ليلة القدر، وهي الليلةُ التي قال الله تعالى فيها: «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ»، وليست ليلة النصف من شعبان، كما زعم البعض، وإنما هي في رمضان، كما قال تعالى: «شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ» [البقرة: ١٨٥]، وليست ليلةً من ليالي العام كما ظن البعض.

ثم عظّم الله شأن هذه الليلة فقال: «وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ»، وهي تقريبًا بضعُ وثمانون عامًا، فمن وُفّق لفعل الخير فيها كان له ثوابُ ألف شهر، بل خيرٌ من ذلك. وقوله تعالى: «تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ» أي: يكثر تنزلُ الملائكة مع كبيرهم جبريل عليه السلام في هذه الليلة لبركتها، حتى قال النبي ﷺ: «إن الملائكة تلك الليلة في الأرض أكثر من حصى الأرض». [حديث حسنه، الألباني في «الصحيحة» (٢٢٠٥)].

«سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ»: قال مجاهد: هي سالمة لا يستطيع الشيطانُ أن يعمل فيها سوءًا، أو يعمل فيها أذى.

وبعد: فلقد كان رسول الله ﷺ يحثّ على قيام هذه الليلة فيقول: «من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه». [متفق عليه].

ولا نجزم بأنها في ليلة معينة، بل نقول كما قال النبي ﷺ: «التمسوا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان في وتر، فإني قد رأيتها فنسيتها». [صححه الألباني في صحيح الجامع].

ولحكمةٍ نُسيها ﷺ، حتى يجتهد المجتهدون، ويتنافس المتنافسون، وقد وصفها النبي ﷺ، فقال: «ليلةُ القدر ليلةٌ بلجةٌ، لا حارةٌ ولا باردةٌ، ولا يُرمى فيها بنجم، ومن علامة يومها تطلع الشمس لا شُعاع لها». [حسنه الألباني في صحيح الجامع].

سورة البينة

يقول تعالى: «لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ (١) رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً (٢) فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ (٣) وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ (٤) وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ (٥) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ (٦) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ (٧) جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ» [البينة: ١-٨].

بين يدي السورة

سورةٌ مدنية، تقرر أن الله لم يكن ليترك الخلق سُدًى، بل لا بد أن يرسل إليهم رسلاً، ثم هُمْ بعد ذلك منهم من يكفر، ومنهم من يؤمن، ولكل جزاؤه: «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ (٦) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ».

تفسير الآيات

يقول تعالى: «لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ»، يعني لم يكن الكافرون من اليهود والنصارى وغيرهم من مشركي العرب متروكين هكذا كالإنسان المنفكِّ المطلق غير المقيد، يعني لم يكونوا متروكين لإرادتهم، ولذاتهم وشهواتهم، «حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ»، أي: حتى يبعث الله إليهم رسولاً منهم، يتلو عليهم آياته ويعلمهم ما عليهم وما لهم، كما قال تعالى: «أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى» [القيامة: ٣٦]، أي يُترك هكذا مهملاً، لا يُؤْمر ولا يُنهى، وكما قال تعالى: «أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ» [الزخرف: ٥]، يعني: ألئن كنتم قومًا مسرفين في الذنوب والمعاصي نتركُكم من غير أمر ولا نهي، ولا نرسل إليكم رسولاً يبين لكم ما أنتم فيه من الضلال، والحالُ أنه «مَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً» [الإسراء: ١٥]، فلا بد من إرسال الرسول بالبينة حتى تُقام الحجة عليكم، فـ «مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ» [الروم: ٤٤].

وقوله تعالى: «رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ» بدلٌ من البينة، «يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً» من الدنس، ومن الكذب، ومن الشرك والكفر والنفاق، كما قال تعالى: «كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ (١١) فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ (١٢) فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ (١٣) مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ (١٤) بِأَيْدِي سَفَرَةٍ (١٥) كِرَامٍ بَرَرَةٍ» [عبس: ١١-١٦]، وقال تعالى: «فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (٧٥) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (٧٦) إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (٧٧) فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ (٧٨) لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (٧٩) تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ» [الواقعة: ٧٥-٨٠].

وقوله تعالى: «فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ»: «الكتابُ يُطلقُ على الموضوع، كما يُقال: كتابُ الطهارة، وكتاب الصلاة، وكتابُ القدر، وكتابُ القيامة، وهذه الصحف المطهرة – وهي هذا القرآن – فيها كتبٌ قيمة، أي موضوعاتٌ وحقائق قيمة».

وقوله تعالى: «وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ»: لقد كان أهل الكتاب متفقين على أن الله سبحانه يبعث في آخر الزمان نبيًا يختم به الأنبياء، يؤمنون به، ويقاتلون معه أعداءهم، فينصرهم الله عليهم، «فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ» [البقرة: ٨٩]، ولذا نهانا الله عما وقعوا فيه، فقال: «وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ» [آل عمران: ١٠٥].

وقوله تعالى: «وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ» يعني: ما أمروا أهل الكتاب في كتبهم وعلى السنة رسلهم إلا بإخلاص الدين لله، وإفراده بالعبادة دون سواه، فعلى هذا اتفق المرسلون، كما قال تعالى: «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ» [النحل: ٣٦]، ولكن الذين كفروا من أهل الكتاب «اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ» [التوبة: ٣١]، «وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ» أي: مائلين عن الشرك إلى التوحيد، وعن الأديان كلها إلى دين الإسلام، وقوله تعالى: «وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ» يعني أنهم أمروا بإخلاص العبادة كلها لله، «وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ» التي هي أشرف العبادات وأعظم حق الله، «وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ»، وهي أعظم حق للعباد الفقراء على الأغنياء، «وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ» أي: الملة العادلة كما قال تعالى: «إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ» [يوسف: ٤٠]، وقال تعالى لنبيه ﷺ: «قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٦١) قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ» [الأنعام: ١٦١-١٦٣].

فهذه قاعدةُ الدين على الإطلاق: عبادةُ الله وحده، وإخلاص الدين له، والميل عن الشرك وأهله، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة: «وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ». عقيدةٌ خالصةٌ في الضمير، وعبادةٌ لله، تُترجم عن هذه العقيدة، وإنفاقٌ للمال في سبيل الله، وهو الزكاة، فمن حقق هذه القواعد، فقد حقق الإيمان كما أمر به أهل الكتاب، وكما هو دين الله على الإطلاق. قوله «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ (٦) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ» يذكر سبحانه في هذه الآيات جزاء الكفرة الفجرة، وجزاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات، فيقول: «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا» [الزخرف: ٧٥-٧٧]، «لاَ يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ (٧٥) وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ (٧٦) وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ» [الزخرف: ٧٥-٧٧]، «كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ» [الحج: ٢٢]، «أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ» أي: شر الخليقة التي برأها الله وذرأها، كما قال تعالى: «إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ» [الأنفال: ٥٥].

ثم يذكر سبحانه جزاء الأبرار المتقين فيقول: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ (٧) جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا» «لاَ يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً» [الكهف: ١٠٨]، «وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ» [الحجر: ٤٨]. «رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ» ورضاه عنهم أعظم من النعيم الذي أوتوه، كما قال تعالى: «وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ» [التوبة: ٧٢]، أي: أكبر وأجل وأعظم مما هم فيه من النعيم، كما في الحديث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله عز وجل يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، والخير كله في يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا رب وقد أعطيتنا ما لم تُعط أحدا من خلقك، فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: يا رب، وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحلّ عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدا». [متفق عليه].

وقوله تعالى: «ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ» يعني ذلك الجزاء المذكور إنما أعد لمن خشي ربه، كما قال تعالى: «وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى» [النازعات: ٤٠، ٤١]، وقال تعالى: «وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ» [الرحمن: ٤٦]، وقال تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ» [الملك: ١٢]، وأولى الناس بهذا الوعد وأسعدهم به العلماء، لأنهم أهل الخشية والخوف، كما قال تعالى: «إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ» [فاطر: ٢٨].

اللهم ارزقنا خشيتك في السر والعلانية.

باب السنة

قصة صلح الحديبية والدروس المستنبطة منها.

الحلقة الثانية

إعداد/ زكريا حسيني محمد

الحمد لله، الواحد الأحد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، والصلاة والسلام على نبينا محمد الذي أرسله ربه كافة للناس بشيرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين... وبعد:

فقد تحدثنا في العدد الماضي عن قصة صلح الحديبية والدروس المستنبطة منها. وفي هذا العدد نكمل - بعون الله ومدده - شرح هذا الحديث.

تكملة شرح الحديث

قوله: «حتى إذا هم بقترة الجيش فانطلق يركض نذيرًا لقريش»: القَتَرَةُ: الغبار الأسود، فانطلق، أي: خالد بن الوليد لينذر قريشًا.

قوله: «وسار النبي ﷺ حتى إذا كان بالثنية» في رواية ابن إسحاق في السيرة «فقال ﷺ: من يخرجنا على طريق غير طريقهم التي هم بها؟ قال: فحدَّثني عبد الله بن أبي بكر بن حزم أن رجلاً من أسلم قال: أنا يا رسول الله، فسلك بهم طريقًا وعرًا، فأخرجوا منها بعد أن شق عليهم، وأمضوا إلى أرض سهلة، فقال لهم: استغفروا الله ففعلوا. فقال: والذي نفسي بيده إنها لَلْحِطَّةُ التي عُرِضَتْ على بني إسرائيل فامتنعوا».

قوله: «بركتْ به راحلته، فقال الناس: حلْ حلْ»: حلْ حلْ: كلمة تقال للناقة إذا تركت السير لتحثها عليه، وقال الخطابي: إن قلت: حلْ واحدة فالسكون، وإن أعدتها نونت الأولى وسكنت في الثانية، وحكى غيره السكون فيهما والتنوين أيضًا كنظيره في: بخ. بخ.

قوله: «فألَحَّتْ»: أي لزمت المكان وتمادت في عدم القيام، وهو من الإلحاح.

قوله: «خلأت القصواء»: الخَلاءُ للإبل كالحِرانِ للخيل، والقصواء: اسم ناقة النبي ﷺ، وكانت مقْصُوَةَ الأُذُنِ، وهو قطع طرف من الأذن، فيقال: ناقة قصواء: أي مقصوة، جاء بلفظ الفاعل، ومعناه المفعول، ولم يقولوا: جمل أقصى.

قوله: «وما ذاك لها بخلق» أي: ليس ذلك عادة

لها فيما مضى.

قوله: «حبسها حابس الفيل» أي: حبسها الله تعالى عن دخول مكة، كما حبس الفيل عنها، حين جاء به أبرهة الحبشي يريد هدم الكعبة واستباحة الحرم، قال الخطابي: والمعنى في ذلك - والله أعلم - أنهم لو استباحوا مكة لأتى القتل على قوم - في علم الله - أنهم سيسلمون، أو سيخرج من أصلابهم ذرية مؤمنون. قال: فهذا موضع التشبيه لحبسها بحبس الفيل. قال الحافظ في الفتح: وكان بمكة عام الحديبية جمع كثير مؤمنون من المستضعفين من الرجال والنساء والولدان، فلو طرق الصحابة - أي دخلوها - لما أمن أن يصاب ناس منهم بغير عمد كما أشار إليه قوله تعالى: «وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ» الآية.

قوله ﷺ: «والذي نفسي بيده» فيه تأكيد القول باليمين فيكون أدعى للقبول، قال ابن القيم في «الزاد»: وقد حفظ عن النبي ﷺ الحلفُ في أكثر من ثمانين موضعًا. والله أعلم.

قوله ﷺ: «لا يسالوني خطة»: بضم الخاء أي خصلة «يعظمون فيها حرمات الله» أي: من ترك القتال في الحرم، وفي رواية ابن إسحاق: «لا تدعوني قريش اليوم إلى خطة يسالونني فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها». قال الحافظ: وهي من جملة حرمات الله، وقيل: المراد بالحرمات حرمة الشهر وحرمة الحرم والإحرام، قال: وفي الثالث نظر لأنهم لو عظموا الإحرام ما صدوه.

قوله: «إلا أعطيتهم إياها»: أي: أجبتهم إليها، قال السهيلي: لم يقع في شيء من طرق الحديث أنه قال: إن شاء الله، مع أنه مأمور بها في كل حال، والجواب: أنه كان أمرًا واجبًا حتمًا فلا يحتاج فيه إلى الاستثناء. كذا قال. وتعقب بأنه تعالى قال في هذه القصة: «لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ». فقال: «إن شاء الله» مع تحقق وقوع ذلك تعليمًا وإرشادًا، فالأولى أن يحمل على أن الاستثناء سقط من الراوي - قلت: أو من الناسخ - أو كانت القصة قبل نزول الأمر بذلك، ولا يعارضه كون الكهف مكية إذ لا مانع أن يتأخر نزول بعض السورة.

قوله: «ثم زجرها» أي: الناقة، «فوثبت» أي: قامت.

قوله: «فعدل عنهم» في رواية ابن سعد: «فولى راجعًا»، وفي رواية ابن إسحاق: «ثم قال للناس: انزلوا ؛ قيل له: يا رسول الله، ما بالوادي ماء، فننزل عليه».

قوله: «على ثمد» أي: حفيرة فيها ماءٌ مَثْمُودٌ، أي: قليل، وقوله: «قليل الماء»، تأكيد لدفع توهم أن يراد لغة من يقول: إن الثمد الماء الكثير، وقيل: الثمد ما يظهر من الماء في الشتاء ويذهب في الصيف.

قوله: «يَتَبَرَّضُهُ الناس» التَّبَرُّضُ هو الأخذ قليلاً قليلاً، والبرض بفتح الراء وسكونه: اليسير من العطاء. وذكر أبو الأسود في روايته عن عروة: «وسبقت قريش إلى الماء فنزلوا عليه ونزل النبي ﷺ الحديبية في حر شديد وليس بها إلا بئر واحدة».

قوله: «فلم يُلْبِثْهُ» من الإلباث، وقال ابن التين: بفتح اللام وكسر الموحدة الثقيلة ؛ أي: لم يتركوه يلبث أي يقيم.

قوله: «فانتزع سهمًا من كنانته» أي: أخرج سهمًا من جعبته.

قوله: «ثم أمرهم»: في رواية ابن إسحاق عن بعض أهل العلم عن رجال من أسلم أن الذي نزل في القليب بسهم رسول الله ﷺ ناجية بن جندب وهو سائق بدن رسول الله ﷺ، قال ابن إسحاق: وقد زعم لي بعض أهل العلم أن البراء بن عازب كان يقول: أنا الذي نزلت بسهم رسول الله ﷺ، قال الحافظ: وروى الواقدي من طريق خالد بن عبادة الغفاري قال: «أنا الذي نزلت بالسهم». ويمكن الجمع بأنهم تعاونوا على ذلك بالحفر وغيره. وعند المصنف من حديث البراء بن عازب في المغازي أنه ﷺ جلس على البئر ثم دعا بإناء فمضمض ودعا الله ثم صبه فيها، ثم قال: «دعوها ساعة»، ثم إنهم ارتووا بعد ذلك. قال الحافظ: ويمكن الجمع بأن يكون الأمران معًا وقعا.

قوله: «يَجِيشُ» أي: يفور، وقوله: «بالرِّي» بكسر الراء ويجوز فتحها، وقوله: «صدروا عنه»: أي رجعوا رواة بعد أن وردوا. زاد ابن سعد: «حتى اغترفوا بآنيتهم جلوسًا على شفير البئر».

قوله: «إذا جاء بُدَيْلُ بن وَرْقاء» أما بُدَيل فبصيغة التصغير، وورقاء بفتح الواو وسكون الراء والقاف المفتوحة بعدها ألف ممدودة. صحابي مشهور.

قوله: «في نفر من قومه». قال الحافظ: سمى الواقدي منهم عمرو بن سالم وخراش بن أمية. وفي رواية أبي الأسود عن عروة (منهم خارجة بن كرز وزياد بن أمية).

قوله: «وكانوا عَيْبَةَ نُصْحٍ» العَيْبَةُ: ما توضع فيه الثياب لحفظها، أي أنهم موضع النصح له والأمانة على سره، وقوله: «من أهل تهامة» تِهَامَةُ: هي مكة وما حولها، وأصلها من التهم، وهو شدة الحر وركود الريح، وخزاعة كانوا من جملة أهل تهامة.

قوله: «إني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي». قال الحافظ: إنما اقتصر على هذين لكون قريش الذين كانوا بمكة أجمع ترجع أنسابهم إليهما. قال: وقد وقع في رواية أبي المليح: «وجمعوا لك الأحابيش» من التحبش وهو التجمع.

قوله: «نزلوا أعداد مياه الحديبية» الأَعْدادُ جمع العدّ، وهو الماء الدائم الذي لا ينقطع. قال الحافظ: وقول بُدَيْل هذا يشعر أنه كان بالحديبية مياهٌ كثيرة وأن قريشًا سبقوا إلى النزول عليها، فلهذا عطش المسلمون حيث نزلوا على الثمد المذكور.

قوله: «ومعهم العُوذُ المطافيل» العُوْذُ: جمع عائذ وهي الناقة ذات اللبن، والمطافيل: الأمهات اللاتي معها أطفالها، يريد أنهم خرجوا معهم بذوات الألبان من الإبل ليتزودوا بألبانها ولا يرجعوا حتى يمنعوه، أو المراد أنهم خرجوا معهم بنسائهم وأطفالهم لإرادة طول المقام وليكون أدعى إلى عدم الفرار، ويحتمل إرادة المعنى الأعم.

قوله: «نَهكَتْهُم الحرب» أي: أبلغت فيهم حتى أضعفتهم، أي: أضعفت قوتهم وأموالهم.

قوله ﷺ: «ماددتهم» أي: جعلت بيني وبينهم مُدّةً بترك الحرب بيننا وبينهم فيها.

قوله: «فإن أظهر وإن شاءوا» شرط بعد شرط، وتقدير الكلام: فإن ظهر غيرهم عليّ كفاهم المؤنة، وإن أظهر أنا على غيرهم فإن شاءوا أطاعوني وإلا فلا تنقضي مدة الصلح إلا وقد جمُّوا أي استراحوا. ووقع في رواية ابن إسحاق: «وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة». وإنما ردد الأمر مع أنه جازم بأن الله تعالى سينصره ويظهره لوعد الله تعالى له بذلك، على طريق التنزل مع الخصم وفرض الأمر على ما زعم الخصم.

قوله: «حتى تنفرد سالفتي» السَّالِفَةُ: صفحة العنق، وكنى بذلك عن القتل؛ لأن القتيل تنفرد مقدمة عنقه.

قوله: «ولينفذن الله أمره»: أي ليمضين الله أمره في نصر دينه. قال الحافظ: وحسن الإتيان بهذا الجزم - بعد ذلك التردد - للتنبيه على أنه لم يورده إلا على سبيل الفرض.

قوله: «فقال بُدَيْلٌ سأبلغهم ما تقول» أي: فأذن له. قوله: «فحدثهم بما قال». زاد ابن إسحاق في روايته فقال لهم بديلٌ ومن معه: يا معشر قريش إنكم تعجلون على محمد، إن محمدًا لم يأت لقتال، إنما جاء زائرًا هذا البيت، فاتهموهم، وقالوا: وإن كان جاء ولا يريد قتالاً، فوالله لا يدخلها علينا عَنْوَةً أبدًا، ولا تَحَدَّثُ بذلك العرب عنا.

قوله: «فقام عروة بن مسعود بن مُعَتِّب الثقفي» ووقع في رواية ابن إسحاق عند أحمد: عروة بن عمرو، والصواب الأول وهو الذي وقع في السيرة.

قوله: «ألستم بالوالد وألستُ بالولد؟ قالوا: بلى». كذا لغير أبي ذر وهو الصواب وهو الذي في رواية أحمد وابن إسحاق وغيرهما. ولأبي ذر بالعكس: «ألستم بالولد وألست بالوالد؟». وقد كانت أم عروة هي سبيعة بنت عبد شمس بن عبد مناف، فأراد بقوله: «ألستم بالوالد، أنكم حي قد ولدتموني في الجملة لكون أمي منكم». قال الحافظ: وجرى بعض الشراح على ما وقع في رواية أبي ذر، فقال: أراد بقوله: «ألستم بالولد» أي: أنتم عندي في الشفقة والنصح بمنزلة الولد، قال: ولعله كان يخاطب بذلك قومًا هو أسن منهم.

قوله: «فلما بَلَّحُوا» أي: امتنعوا. والتبلح: التمنع من الإجابة.

قوله: «قد عرض عليكم خُطَّة رُشْد» في رواية الكشميهني: عرض لكم، والخُطَّةُ بضم الخاء وتشديد الطاء، والرُّشْد، بضم الراء وسكون الشين وبفتحهما. أي قد عرض عليكم أو لكم خصلة خير وإنصاف، ولقد بين ابن إسحاق أن سبب تقديم عروة بن مسعود لهذا الكلام عند قريش ما رآه من ردهم العنيف على من يجيء من عند المسلمين.

قوله: «دعوني آته» بالمد مجزوم جوابًا للأمر، أي: أجيء إليه، «قالوا: ائته» بهمزة وصل بعدها همزة قطع.

قوله: «اجتاح» أي: أهلك أهله بالكلية، وحذف الجزاء من قوله: «وإن تكن الأخرى» تأدبًا مع النبي ﷺ، والمعنى: وإن تكن الغلبة لقريش لا آمنهم عليك. وقوله: «فإني والله لأرى وجوهًا...» إلخ. كالتعليل للقدر المحذوف، ومقتضى كلام عروة أنه رَدَّدَ الأمر بين شيئين غير مستحسنين وهما هلاك قومه إن غَلَبَ، وذهاب أصحابه إن غُلِبَ. لكن الأمرين مستحسنين شرعًا كما قال تعالى: «قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ».

قوله: «أشْوابًا» بتقديم الشين على الواو، كذا للأكثر، ووقع لأبي ذر عن الكشميهني: «أوشابًا» بتقديم الواو. فالأشواب الأخلاط من أنواع شتى، والأوْشاب والأوْباش الأخلاط من السفلة، فالأوباش أخص من الأشواب.

قوله: «خليقًا» أي: حقيقًا وزنًا ومعنىً، ويقال للواحد والجمع، ولذلك وقع صفة لأشواب.

قوله: «ويَدَعوك» أي: يتركوك، وفي رواية أبي المليح عن الزهري: «وكأني بهم لو قد لقيت قريشًا قد أسلموك فتؤخذ أسيرًا فأي شيء أشد عليك من ذلك».

قوله: «فقال له أبو بكر الصديق»: قال الحافظ: زاد ابن إسحاق: «وأبو بكر الصديق خلف رسول الله ﷺ قاعد فقال».

قوله: «امصص بظر اللات». قال الحافظ: زاد ابن عائذ من وجه آخر عن الزهري: «وهي - أي اللات - طاغيته التي يعبد». أي: طاغية عروة. وقوله: امْصَصْ بألف وصل وصادين الأولى مفتوحة؛ بصيغة الأمر، قال في لسان العرب وهو الفصيح الجيد، وفي القاموس: امْصُصْ: بضم الأولى، فالصيغة الأولى: من: مَصِص يَمْصَصُ، والثانية من مَصَص يَمْصُصُ. والبَظْرُ: قطعة تبقى بعد الختان في فرج المرأة، واللات: اسم أحد الأصنام التي كانت قريش وثقيف يعبدونها، وكانت عادة العرب الشتم بذلك لكن بلفظ الأم، فأراد أبو بكر المبالغة في سب عروة بإقامة معبوده مقام أمه. وحمله على ذلك ما أغضبه من نسبة المسلمين إلى الفرار.

قوله: «لولا يد» أي: نعمة، وقوله: «لم أجزك بها» أي: لم أكافئك بها، زاد ابن إسحاق «ولكن هذه بها». أي: جازاه بعدم إجابته عن شتمه بيده التي كان أحسن إليه بها، وبين عبد العزيز الإمامي عن الزهري في هذا الحديث أن اليد المذكورة أن عروة كان تحمل بدية فأعانه أبو بكر فيها بعون حسن، وفي رواية الواقدي: عشر قلائص.

قوله: «فكلما كلمه أخذ بلحيته». وفي رواية ابن إسحاق: «فجعل يتناول لحية النبي ﷺ وهو يكلمه». قوله: «والمغيرة بن شعبة قائم على رأس النبي ﷺ ومعه السيف» في مغازي عروة بن الزبير رواية أبي الأسود عنه: «أن المغيرة لما رأى عروة بن مسعود مقبلاً لبس لأمته وجعل على رأسه المغفر ليستخفي من عمه عروة».

قوله: «بنعل السيف» هو ما يكون أسفل القراب من فضة وغيرها.

قوله: «أخر يدك» فعل أمر من التأخير، زاد ابن إسحاق في روايته: «قبل ألا تصل إليك». وزاد عروة بن الزبير: «فإنه لا ينبغي لمشرك أن يمسه»، وفي رواية ابن إسحاق: «فيقول عروة: ويحك ما أفَظَّكَ وأغْلَظَكَ، وكانت عادة العرب أن من كلم أحدًا تناول لحيته ولا سيما عند الملاطفة، وغالبًا ما يصنع ذلك النظير بنظيره». لكن النبي ﷺ كان يغضي لعروة عن ذلك تأليفًا له واستمالة لقلبه، والمغيرة يمنعه إجلالاً للنبي ﷺ وتعظيمًا.

قوله: «فقال: من هذا؟ قالوا: المغيرة». وفي رواية ابن إسحاق: فتبسم رسول الله ﷺ، فقال عروة: من هذا يا محمد؟ قال: «هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبة». قال الحافظ: وكذا أخرجه ابن أبي شيبة من حديث المغيرة بن شعبة نفسه بإسناد صحيح، وأخرجه ابن حبان.

قوله: «أيْ غُدَرُ» وزن عمر معدول عن غادر مبالغة في وصفه بالغدر.

قوله: «ألَسْتُ أسعى في غدرتك؟» أي: ألست أسعى في دفع شر غدرتك؟ قال ابن هشام في السيرة: أراد عروة بقوله هذا أن المغيرة قبل إسلامه قتل ثلاثة عشر رجلاً من بني مالك. من ثقيف، فتهايج الحيان من ثقيف: بنو مالك رهط المقتولين، والأحلاف رهط المغيرة، فودى عروة المقتولين ثلاث عشرة دية، وأصلح ذلك الأمر. قال الحافظ: وقد ساق ابن الكلبي والواقدي القصة، وحاصلها أنهم كانوا خرجوا زائرين المقوقس بمصر، فأحسن إليهم وأعطاهم وقصر بالمغيرة فحصلت له الغيرة منهم، فلما كانوا بالطريق شربوا الخمر، فلما سكروا وناموا وثب المغيرة فقتلهم ولحق بالمدينة فأسلم.

قوله: «فجعل يرمُق» أي: يلحظ.

قوله: «فدلك بها وجهه وجلده...» إلخ. قال الحافظ في الفتح: ولعل الصحابة فعلوا ذلك بحضرة عروة وبالغوا في ذلك إشارة منهم إلى الرد على ما خشيه من فرارهم، وكأنهم قالوا بلسان الحال: من يحب إمامه هذه المحبة ويعظمه هذا التعظيم كيف يُظَنُّ به أنه يَفِرُّ عنه ويُسْلِمه لعدوه؟ بل هم أشد اغتباطًا به وبدينه وبنصره من القبائل التي يراعي بعضها بعضًا بمجرد الرحم.

قوله: «ووفدت على قيصر...» إلخ. هو من ذكر الخاص بعد العام، وذكر الثلاثة لكونهم أعظم ملوك ذاك الزمان، وفي مرسل علي بن زيد عند ابن أبي شيبة: «فقال عروة: أي قوم، إني قد رأيت الملوك، ما رأيت مثل محمد وما هو بملك، ولكن رأيت الهدي معكوفًا، وما أراكم إلا ستصيبكم قارعة، فانصرف هو ومن اتبعه إلى الطائف».

نكمل بقية شرح الحديث في العدد القادم إن شاء الله تعالى، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

ليس كمثله شيء وهو السميع البصير

إعداد/ شوقي عبدالصادق

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه، وبعد:

فنكمل حديثنا عن صفات الله عز وجل، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

صفة المحبة

وهي صفة ثابتة لله تعالى بكتابه؛ لقوله تعالى: «قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ» [آل عمران: ٣١]، وقوله: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ» [المائدة: ٥٤]، وثابتة لله تعالى بسنة رسوله ﷺ من حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لأعطين الراية» أو قال: «ليأخذن غداً رجل يحبه الله ورسوله». أو قال: «يحب الله ورسوله، يفتح الله عليه». [اللؤلؤ والمرجان ١٥٥٨]، وحديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه». [اللؤلؤ والمرجان ١٧٢٠]، والمحبة أجمع السلف على ثبوتها لله تعالى حقيقة من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، وفسرها أهل التعطيل بالثواب وهو تفسير مردود.

صفة الكراهة

والكراهة من الله سبحانه لمن يستحقها ثابتة بالكتاب لقوله تعالى: «وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ» [التوبة: ٤٦]، وثابتة بالسنة لحديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات، ومنعاً وهات، ووأد البنات، وكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال». [البخاري ٥٩٧٥]. والكراهة حقيقة من الله تليق به وهي من صفات الأفعال أجمع السلف على ثبوتها لله من غير تحريف ولا تعطيل وتفسيرها بالإبعاد مردود.

صفة الضحك

وصفة الضحك ثابتة لله سبحانه بما صح عن رسوله ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة، يقاتل هذا في سبيل الله، فيُقتل ثم يتوب الله على القاتل فيستشهد». [اللؤلؤ والمرجان ١٢٣٨]. والتفسير العملي لما جاء في الحديث هو قتلُ وحشي رضي الله عنه لما كان على الكفر قتل أسد الله (حمزة بن عبد المطلب)، ثم أسلم وحسن إسلامه، وذكر البخاري طرفاً من ذلك، قال: لما سأله رسول الله ﷺ عن كيفية قتل حمزة رضي الله عنه وأخبره، قال رسول الله ﷺ: «ويحك غيب عني وجهك فلا أرينك». قال: فكنت أتنكب رسول الله ﷺ حيث كان لئلا يراني حتى قبضه الله. [فتح الباري ٧ / ٤٠٧٢]. ثم كان له الفضل في قتل مسليمة بنفس الحربة، وقال: إن كنت قتلته فقد قتلت خير الناس بعد رسول الله ﷺ (حمزة)، وقد قتلت شر الناس؛ مسليمة. [السيرة لابن هشام ٣ / ٣٣].

فالحديث الشريف أثبت الضحك لله تعالى كما يقول ابن عثيمين - رحمه الله - وهو ضحك حقيقي لكنه لا يماثل ضحك المخلوقين، ضحك يليق بجلاله وعظمته ولا يمكن أن نمثله لأننا لا يجوز لنا أن نقول إن لله فماً وأسناناً أو ما أشبه ذلك، لكن نثبت الضحك لله على الوجه الذي يليق به سبحانه، والرسول ﷺ لا يتكلم في مثل هذا إلا

عن وحي لأنه من أمور الغيب ليس من الأمور الاجتهادية، وتفسيره بالرضا والثواب تحريف للكلم عن مواضعه وصرف للنص عن ظاهره بلا علم وإثبات خلاف الظاهر بلا علم. [شرح العقيدة الواسطية ص٢٨٩].

صفة النزول

وهو من الصفات الفعلية الثابتة بالسنة المتواترة في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له». [اللؤلؤ والمرجان].

وقال ابن عثيمين رحمه الله: فعلينا أن نؤمن به ونصدق ونقول: ينزل ربنا إلى السماء الدنيا وهي أقرب السماوات إلى الأرض وينزل في هذا الوقت من الليل للقرب من عباده كما يقرب منهم عشية عرفة، وهناك من حرف الحديث وقالوا بنزول أمر الله، وآخرون قالوا: بل ينزل رحمة الله وقالوا: بل الذي ينزل ملك من ملائكة الله وهذا كله باطل يبطله الحديث، وليسو أعلم بالله من رسول الله، وأصحاب رسول الله ﷺ قالوا سمعنا وآمنا وقبلنا وصدقنا ولم يقولوا كما قال المجادلون إذا نزل أين العلو وإذا نزل أين الاستواء على العرش، وإذا نزل فالنزول حركة وانتقال النزول حادث والحوادث لا تقوم إلا بحادث، ونحن نقول بنزوله لكنه تعالى على خلقه لأنه ليس معنى النزول أن السماء تقله والسماوات الأخرى تظله لأنه لا يحيط به شيء من مخلوقاته.

ويقول ابن تيمية رحمه الله: إنه لا يخلو منه العرش لأن أدلة استوائه على العرش محكمة والحديث هذا محكم والله تعالى لا تقاس صفاته بصفات الخلق فيجب علينا أن نبقي نصوص الاستواء على إحكامها ونص النزول على إحكامه ونقول مستو على عرشه نازل إلى السماء الدنيا، والله أعلم بكيفية ذلك وعقولنا أقصر وأحقر من أن تحيط بالله تعالى. [شرح العقيدة الواسطية ٢٨٢- ٢٨٤ بتصرف].

قلت: وهذا مثال من السنة الشريفة ثبتت عجز العقول عن إدراك ماهية شيء من المخلوقات، وهذا الشيء هو سر الحياة في جميع البشر، فقد روى مسلم من حديث أم سلمة رضي الله عنها قالت: دخل رسول الله ﷺ على أبي سلمة، وقد شقَّ بصره فأغمضه ثم قال: إن الروح إذا قبض تبعه البصر فضج ناس من أهله، فقال: لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون، ثم قال: اللهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهديين واخلفه في عقبه في الغابرين واغفر لنا وله يا رب العالمين، وافسح له في قبره، ونور له فيه. [مسلم ج٦ ص٢٢٢].

قال النووي: إن الروح إذا قبض تبعه البصر ناظرًا أين يذهب. قلت: فهذه الروح هي سر الحياة في جميع البشر ولا يراها الناس ولا يشمونها ولا يدركونها بأي حاسة من حواسهم وهم أحياء ويعلمون علم اليقين أنها موجودة في كل ذرة من كيانهم حتى إذا خرجت منهم تبعها البصر ناظرًا أن تذهب ولا يمكن للمحتضر أن يخبرنا عن تفاصيل وأوصاف الروح التي ينظر إليها ببصره الشاخص، والروح مخلوقة وهي سر حياتنا ولا ندرك كيفيتها ولا ماهيتها فكيف نسمح للعقول أن تتخيل أوصاف وصفات الخالق سبحانه، كذلك الأثير الذي يحمل موجات فيهات مواعظ، وموجات فيها مواعظ وفواحش لا تستطيع العقول أن تدرك ماهية الأثر، وكذلك الكهرباء، فإذا عجز العقل عن إدراك ماهية وكنه كثير من المخلوقات فهو عن إدراك ماهية صفات الله سبحانه أعجز وأقصر وأحقر: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ».

صفة الهرولة

سبق في الحديث عن صفة النفس حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال النبي ﷺ: «قول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني، فإذا ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرب إليَّ بشبر تقربت إليه ذراعًا، وإن تقرب إليَّ ذراعًا

تقربت إليه باعًا، وإن آتاني يمشي أتيته هرولة».

فالصفة معلومة لله تعالى ولكن كيفيتها غير معلومة، ولا يشبه تعالى صفات خلقه كما قالت أم سلمة والإمام مالك رحمهما الله: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، فالهرولة معلومة، لله تعالى، ولكن كيفيتها غير معلومة، ولا يشبه تعالى صفات خلقه كما قالت أم سلمة والإمام مالك رحمهما الله: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، فالهرولة معلومة، ولكن الكيفية مجهولة، «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ».

صفة المجيء

يقول تعالى: «هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلائِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ» [البقرة: ٢١٠]. قال ابن كثير رحمه الله يعني يوم القيامة، لفصل القضاء بن الأولين والآخرين فيجزي كل عامل بعمله إن خيرًا فخير وإن شر فشر، كما قال تعالى: «كَلاَّ إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (٢١) وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا»، وقوله: «هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا»، وذكر حديث ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: «يجمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم قيامًا شاخصة أبصارهم إلى السماء ينظرون فصل القضاء، وينزل الله تعالى في ظلل من الغمام من العرش إلى الكرسي». [صحيح الترغيب والترهيب ٣٥٩١، وتفسير ابن كثير ١ / ٣٤٩].

الإتيان في الحديث إتيان حقيقي يليق بجلاله تعالى لا يشبه إتيان المخلوق ولا نتأوله على إتيان رحمته أو ملك من ملائكته بل نثبته كما أثبته السلف بلا تشبيه ولا تمثيل ولا تأويل ولا تعطيل لقوله تعالى: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ».

صفة الفرح

وقد أثبتت السنة هذه الصفة فيما رواه الشيخان واللفظ لمسلم قال رسول الله ﷺ: «لله أشدُّ فرحًا بتوبة عبده المؤمن من رجل في أرض دوية مهلكة.. راحلته عليها طعامه وشرابه فنام فاستيقظ وقد ذهبت، فطلبها حتى أدركه العطش، ثم قال: أرجع إلى مكاني الذي كنت فيه فأنام حتى أموت فوضع رأسه على ساعده ليموت فاستيقظ وعنده راحلته عليها زاده وطعامه وشرابه فالله أشد فرحًا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وزاده». [مسلم ١٩١٧].

وفرح هذا العبد براحلته فاق حدّه حتى إن العبد كما في رواية أخرى أخطأ من شدة الفرح وقال: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، ولم يملك كيف يتصرف في الكلام، وفرح الله تعالى بتوبة عبده المؤمن أشد من فرح هذا العبد الذي فاق حدّه، وهذا الفرح بالنسبة لله تعالى صفة قال عنها العلامة ابن عثيمين رحمه الله: إنه فرح حقيقي ولكنه ليس كفرح المخلوقين فالفرح بالنسبة للإنسان هو نشوة وخفة يجدها الإنسان من نفسه عند حصول ما يسره، ولهذا تشعر بأنك إذا فرحت بالشيء كأنك تمشي في الهواء، لكن بالنسبة لله تعالى لا نفسر الفرح بمثل ما نعرفه من أنفسنا فهو فرح يليق بالله تعالى مثل بقية الصفات، له ذات، ولكن لا تماثل ذواتنا، وكذلك له صفات لا تماثل صفاتنا؛ لأن الكلام عن الصفات فرع عن الكلام في الذات، ونحن على خطر إذا قلنا المراد بالفرح الثواب، أو إثابته التائب أو إرادة الثواب. [شرح العقيدة الواسطية ٢٨٦].

صفة الرجل، أو القدم

وهذه الصفة ثابتة لله تعالى بالسنة الصحيحة؛ لما رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «تحاجت الجنة والنار، فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين، وقالت الجنة: ما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم، قال الله تبارك وتعالى للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي، وقال للنار: إنما أنت عذابٌ أعذب بك من أشاء من عبادي، ولكل واحدة منهما ملؤها، فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع رجله فتقول قط،

قط، قط، فهنالك يمتلئ ويزوى بعضها إلى بعض، ولا يظلم الله عز وجل من خلقه أحداً، وأما الجنة فإن الله عز وجل ينشئ لها خلقاً». [البخاري ٤٨٥٠].

وفي رواية أنس قال ﷺ: «... يلقى في النار وتقول: هل من مزيد، حتى يضع قدمه فتقول: قط قط». [٤٨٤٨].

وقال ابن عثيمين رحمه الله: أما الرجل والقدم فمعناهما واحد، وسميت رجل الإنسان قدماً لأنها تتقدم في المشي، فإن الإنسان لا يستطيع أن يمشي برجله إلا إذا قدمها، وأن لله تعالى رجلاً وقدماً حقيقة لا تماثل أرجل المخلوقين، ويسمي أهل السنة مثل هذه الصفة: الصفة الذاتية الخبرية لأنها لا تعلم إلا بالخبر ولأن مسماها أبعاض لنا وأجزاء، لكن لا نقول بالنسبة لله إنها أبعاض وأجزاء لأن هذا ممتنع على الله تعالى، وخالف الأشاعرة وأهل التحريف وفسروا الرجل بالطائفة من العباد المستحقين للدخول، والرجل معناها الطائفة، كما في حديث أيوب: «رجل جراد من ذهب». يعني طائفة من جراد، وهذا التحريف باطل لأن قوله عليها يمنع ذلك ولا يمكن أن يضيف الله تعالى أهل النار إلى نفسه لأن إضافة الشيء إلى الله تكريم وتشريف، وشرط القدم بمعنى مقدم أي يضع عليها من يقدمهم إلى النار، وهذا باطل أيضاً لأن أهل النار لا يقدمهم الباري تعالى ولكنهم «يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا»، فالمحرفون فروا من شيء ووقعوا في شر منه، فروا من تنزيه الله عن القدم والرجل، لكنهم وقعوا في السفه ومجانبة الحكمة في أفعال الله تعالى، والحاصل أنه يجب علينا أن نؤمن بأن لله تعالى قدماً وإن شئنا قلنا: رجلاً على سبيل الحقيقة، مع عدم المماثلة، ولا نكيف الرجل؛ لأن النبي ﷺ أخبرنا بأن لله تعالى رجلاً أو قدماً، ولم يخبرنا كيف هذه الرجل أو القدم. [شرح العقيدة الواسطية ٢٩٣ - ٢٩٤ بتصرف].

صفتا السمع والبصر

قال تعالى: «قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ» [طه: ٤٦]. وقوله: «قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا» [الكهف: ٢٦]. عن آية طه يقول ابن كثير رحمه الله: لا تخافا منه فإنني أسمع كلامكما وكلامه، وأرى مكانكما ومكانه لا يخفى علي من أمركم شيء، وعن آية الكهف يقول: فلا أحد أبصر من الله ولا أسمع يرى أعمالهم ويسمع ذلك منهم سميعاً بصيراً (٣/ ١١٤).

والإنسان خلقه الله سميعاً بصيراً: «إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا».

وعن أبي موسى قال: لما غزا رسول الله ﷺ خيبر أو قال: لما توجه إلى خيبر أشرف الناس على واد فرفعوا أصواتهم بالتكبير: الله أكبر، لا إله إلا الله، فقال رسول الله ﷺ: «اربعوا على أنفسكم إنكم لا تدعون أصم ولا غائباً، إنكم تدعون سميعاً قريباً وهو معكم». [اللؤلؤ والمرجان ١٧٢٨].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: ذكر النبي ﷺ يوماً بين ظهري الناس المسيح الدجال، فقال: «إن الله ليس بأعور، ألا إن المسيح الدجال أعور العين اليمنى، كأن عينه عنبة طافية». [اللؤلؤ والمرجان ١٨٥٤].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة إلى النبي ﷺ تكلمه وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول، فأنزل الله عز وجل قوله: «قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ». [صحيح سنن النسائي].

والشاهد من هذه الآيات والأحاديث ثبوت صفتي السمع والبصر لله تعالى على الوجه الذي يليق به من غير تأويل ولا تشبيه ولا تعطيل وأن سمعه وبصره لا يشبه سمع وبصر المخلوقين، «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ».

اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

مشروع تيسير حفظ السنة
من صحيح الأحاديث القصار

درر البحار (٦٠)

إعداد/ علي حشيش

١٦٨٠- عن عائشة رضي الله عنها قالت: كَانَ إِذَا اشْتَكَى رَسُولُ اللهِ ﷺ رَقَاهُ جِبْرِيلُ قَالَ: «بِاسْمِ اللهِ يُبْرِيكَ، وَمِنْ كُلِّ دَاءٍ يَشْفِيكَ، وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ وَشَرِّ كُلِّ ذِي عَيْنٍ». م(٢١٨٥).

١٦٨١- عَنْ أبي سعيد رضي الله عنه: أَنَّ جِبْرِيلَ أتى النَّبِيَّ ﷺ فقال: يا محمد اشْتَكَيْتَ؟ فقال: «نَعَمْ». قال: بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ أَوْ عَيْنِ حَاسِدٍ، اللهُ يَشْفِيكَ بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ. م(٢١٨٦)، ت(١٩٧٢)، ن(١٠٨٤٣ / ٦- كبرى)، جه (٣٥٢٣).

١٦٨٢- عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «الْعَيْنُ حَقٌّ، وَلَوْ كَانَ شَيْءٌ سَابَقَ الْقَدَرَ سَبَقَتْهُ الْعَيْنُ، وَإِذَا اسْتُغْسِلْتُمْ فَاغْسِلُوا». م(٢١٨٨)، ت(٢٠٦٢)، حب (٦١٠٧)، حق (٩ / ٣٥١).

١٦٨٣- عن أنس بن مالك رضي الله عنه في الرُّقَى قال: رُخِّصَ فِي الحُمَةِ(١) وَالنَّمْلَةِ وَالْعَيْنِ. م(٢١٩٦)، حم (١٢١٧٤)، (١٢١٧٥)، (١٢١٩٥)، (١٢٢٨٤)، ت(٢٠٥٦)، جه (٣٥١٦)، ن(٧٥٤١ / ٤ - كبرى)، حب (٦١٠٤).

١٦٨٤- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يقول: رَخَّصَ النَّبِيُّ ﷺ لآلِ حَزْمٍ في رُقْيَةِ الحَيَّةِ، وَقَالَ لأَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ: «مَا لِي أَرَى أَجْسَامَ بَنِي أَخِي ضَارِعَةً تُصِيبُهُمْ الحَاجَةُ». قَالَتْ: لا وَلَكِنِ الْعَيْنُ تُسْرِعُ إِلَيْهِمْ. قَالَ: «ارْقِيهِمْ». قالت: فَعَرَضْتُ عَلَيْه فَقَالَ: «ارْقِيهِمْ». م(٢١٩٨)، حم(١٤٥٧٩).

١٦٨٥- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يقول: أَرْخَصَ النَّبِيُّ ﷺ في رُقْيَةِ الحَيَّةِ لِبَنِي عمرو، وقال: لَدَغَتْ رَجُلاً مِنَّا عَقْرَبٌ، وَنَحْنُ جُلُوسٌ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ أَرْقِي؟ قال: «مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَفْعَلْ». م(٢١٩٩)، حم (١٤٢٣٥)، (١٤٥٩٠)، (١٥١٠٣)، (١٥١٠٤)، (١٥٢٣٦)، ن(٧٥٤٠ / ٤ - كبرى)، جه (٣٥١٥)، حب (٥٣٢)، (٦١٠٢)، (٦٠٩١)، (٦٠٩٧).

١٦٨٦- عن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «اعْرِضُوا عَلَيَّ رُقَاكُمْ لاَ بَأْسَ بِالرُّقَى مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ شِرْكٌ». م(٢٢٠٠)، د(٣٨٨٦)، حب (٦٠٩٤)، هق (٩ / ٣٤٩).

١٦٨٧- عَن عثمان بن أبي العاص أنه شكا إلى رسول الله ﷺ وَجَعًا يَجِدُهُ فِي جَسَدِهِ مُنْذُ أَسْلَمَ فقال له رسول الله ﷺ: «ضَعْ يَدَكَ عَلَى الَّذِي تَأَلَّمَ مِنْ جَسَدِكَ وَقُلْ: بِاسْمِ اللهِ ثَلاَثًا، وَقُلْ سَبْعَ مَرَّاتٍ: أَعُوذُ بِاللهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ». م(٢٢٠٢)، ط(١٧٥٤)، د(٣٨٩١)، ت(٢٠٨٠)، ن(٧٧٢٤ / ٤، ١٠٨٣٧ / ٦ - كبرى)، جه (٣٥٢٢)، حب (٢٩٦٤)، (٢٩٦٥)، (٢٩٦٧).

١٦٨٨- عن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إنَّ الشيطان قد حَالَ بَيْنِي وَبَيْنَ صَلاَتِي وقراءتي يَلْبِسُهَا عَلَيَّ، فقال رسول الله ﷺ: «ذَاكَ شَيْطَانٌ يُقَالُ لَهُ: خِنْزَبٌ، فَإِذَا أَحْسَسْتَهُ فَتَعَوَّذْ بِاللهِ مِنْهُ، وَاتْفُلْ عَلَى يَسَارِكَ ثَلاَثًا». قال: فَفَعَلْتُ ذَلِكَ فَأَذْهَبَهُ اللهُ عَنِّي. م(٢٢٠٣)، حم (١٧٩١٧).

١٦٨٩- عن جابر عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرَأَ بِإِذْنِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ». م(٢٢٠٤)، حم(١٤٦٠٢).

١٦٩٠- عن جابر رضي الله عنه أن أم سلمة استأذنت رسول الله ﷺ في الْحِجَامَةِ فَأَمَرَ النَّبِيُّ أَبَا طَيْبَةَ أن

يَحْجُمَهَا. م(٢٢٠٦)، حم (١٤٧٨١)، د(٤١٠٥)، جه(٣٤٨٠)، حب (٥٦٠٢)، هق (٧ / ٩٦).

١٦٩١- عن جابر رضي الله عنه قال: بَعَثَ رسول الله ﷺ إلى أُبَيِّ بن كعب طبيبًا فقطع منْهُ عِرْقًا ثُمَّ كواهُ عَلَيْه. م(٢٢٠٧)، حم (١٤٣٨٦)، د(٣٨٦٤)، جه(٣٤٩٣).

١٦٩٢- عن جابر رضي الله عنه قال: رُمِيَ سَعْدُ بنُ مُعَاذٍ في أَكْحَلِه قال: فَحَسَمَهُ(١) النبيُّ ﷺ بيده بِمِشْقَص، ثُمَّ وَرِمَتْ فَحَسَمَهُ الثَّانِيَة. م(٢٢٠٨)، حم (١٤٧٧٩)، (١٤٣٤٩)، (١٥١٤٦)، د(٣٨٦٦)، ن(٨٦٧٩ / ٥- كبرى)، جه (٣٤٩٤)، حب (٦٠٨٣)، حق (٩ / ٣٤٢).

١٦٩٣- عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا عَدْوَى ولا طِيَرَةَ ولا غُولَ». م(٢٢٢٢)، حم (١٤١١٩)، (١٤٣٥٥)، (١٥١٠٥)، حب (٦١٢٨).

١٦٩٤- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «لاَ عَدْوَى ولاَ طِيَرَةَ وأُحبُّ الفَأْلَ الصَّالِح». م(٢٢٢٣).

١٦٩٥- عن جابر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «إِنْ كَانَ في شَيْءٍ ففي الرَّبْعِ وَالْخَادِمِ وَالْفَرَسِ». يعني: الشؤم. م(٢٢٧)، ن(٣٥٧٢)، (٤٤١٢ / ٣ - كبرى).

١٦٩٦- عن صفية عن بعض أزواج النبي ﷺ عن النبيِّ ﷺ قال: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةُ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً». م(٢٢٣٠)، حم(١٦٦٣٨)، هق (٨ / ١٣٨).

١٦٩٧- عن عمرو بن الشريد عن أبيه قال: كان في وفد ثقيف رجل مجذوم فأرسل إليه النبي ﷺ: «إِنَّا قَدْ بَايَعْنَاكَ فَارْجِعْ». م(٢٢٣١)، حم (١٩٤٨٥)، ن(٤١٩٣)، (٧٨٠٥ / ٤ - كبرى)، جه (٣٥٤٤).

١٦٩٨- عن عائشة رضي الله عنها قالَتْ: أمر رسول الله ﷺ بِقَتْلِ ذي الطُّفْيَتَيْنِ(١) فإِنَّهُ يَلْتَمِسُ الْبَصَرَ وَيُصِيبُ الحَبَلَ. م(٢٢٣٢)، حم(٢٤٢٧٤).

١٦٩٩- عن عامر بن سعد عن أبيه رضي الله عنه أن النبي ﷺ أمَرَ بِقَتْلِ الْوَزَغِ(٣) وسَمَّاه فُوَيْسقًا. م(٢٢٣٨)، حم (١٥٢٣)، د(٥٢٦٢)، هق (٥ / ٢١١).

١٧٠٠- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَتَلَ وَزَغَةً في أَوَّلِ ضَرْبَةٍ فَلَهُ كَذَا وكذا حَسَنَةً، وَمَنْ قَتَلَهَا فِي الضَّرْبَةِ الثَّانِيَةِ فَلَهُ كَذَا وَكَذَا حَسَنَةً لِدُونِ الأُولَى، وَإِنْ قَتَلَها في الضَّرْبَةِ الثَّالِثَةِ فَلَهُ كَذَا وَكَذَا حَسَنَةً لِدُونِ الثَّانِيةِ». م(٢٢٤٠)، حم (٨٦٦٧)، د(٥٢٦٣)، (٥٢٦٤).

١٧٠١- عن علقمة بن وائل عن أبيه عن النبي ﷺ قال: «لاَ تَقُولُوا: الْكَرْمُ، ولَكِنْ قُولُوا: الحَبْلَةُ». يعني: العنب. م(٢٢٤٨)، حب (٥٨٣١)، حم (١٩١٤).

١٧٠٢- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: كَانَتِ امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَصِيرَةٌ تَمْشِي مَعَ امْرَأَتَيْنِ طَوِيلَتَيْنِ فَاتَّخَذَتْ رِجْلَيْنِ مِنْ خَشَبٍ، وَخَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ مُغْلَقٍ مُطْبَقٍ ثُمَّ حَشَتْهُ مِسْكًا، وَهُوَ أَطْيَبُ الطِّيبِ، فَمَرَّتْ بَيْنَ الْمَرْأَتَيْنِ فَلَمْ يَعْرِفُوهَا، فَقَالَت بِيَدِهَا هَكَذَا. م(٢٢٥٢)، حم (١١٣٦٤)، (١١٤٣٩)، (١١٨٣٢)، د(٣١٥٨)، ت(٩٩١)، (٩٩٢)، ن(١٩٠٤)، (١٩٠٥)، (٥١٣٤)، (٢٠٣٢ / ١، ١٠٣٣ / ١، ٩٤١٢ / ٥، ٩٤١٣ / ٥ - كبرى).

هــوامــش

١- الحمة: كل ذات سم.

٢- حسمه: كواه.

٣- ذو الطفيتين: نوع من الحيات له خطان أبيضان على ظهره.

٤- الوزغ: سام أبرص.

فقه التغيير

في ضوء ما سبق مع مراعاة قاعدة المصالح وسنة التدرج

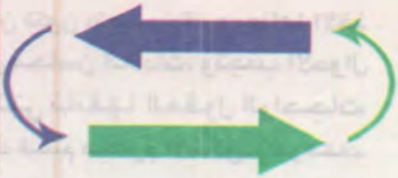

إعداد: د/ عبدالله شاكر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى وصحبه ومن تبعه إلى يوم الدين، وبعد:

فمما لا شك فيه أن الأمم تمر بفترات مختلفة، وتكون قوية في حين، وضعيفة في حين آخر، والغيورون على الأمة الإسلامية يسعون دائمًا إلى تغيير الواقع الانهزامي أو الضعيف بالأمة والوصول بها إلى مصاف العزة والقوة والسيادة، وهذا يحتاج إلى فقه سديد ونظر رشيد، وإذا أردنا القيام به فلا بُدَّ أن نبدأ بأهم الأمور فنعتني أولاً بتغيير العقائد الباطلة والأفكار المنحرفة والتصورات الخاطئة ؛ لتحل محل ذلك العقيدة الصحيحة والمفاهيم السليمة المستقيمة، ثم نعتني بعد ذلك بجميع الجوانب التي تتعلق بحياة المسلم وعزته وكرامته، ويجب أن تُراعي قاعدة المصالح الشرعية في ذلك، فتغيير المنكر أمر يحبه الله ورسوله، ولكن إذا كان تغييره سيؤدي إلى منكر أكبر منه وأعظم، فإنه لا يسوغ إنكاره حينئذ، وهذا كالإنكار على الملوك والولاة، بالخروج عليهم، فإنَّه أساس كل شر وفتنة إلى آخر الدهر، وقد استأذن الصحابة رسول الله ﷺ في قتال الأمراء الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها وقالوا: أفلا نقاتلهم ؟ فقال: «لا ؛ ما أقاموا الصلاة». وقال: «من رأى من أميره شيئًا يكرهه فليصبر فإنه من خرج من السلطان شبرًا مات ميتة جاهلية». [متفق عليه].

ومن تأمل ما جرى على الإسلام في الفتن الكبار والصغار رآها من إضاعة هذا الأصل وعدم الصبر على منكر، وقد كان رسول الله ﷺ يرى بمكة أكبر المنكرات ولا يستطيع تغييرها، بل لما فتح الله مكة وصارت دار إسلام، عزم على تغيير البيت وردَّه على قواعد إبراهيم ومنعه من ذلك - مع قدرته عليه

- خشية وقوع ما هو أعظم منه من عدم احتمال قريش ذلك ؛ لقرب عهدهم بالإسلام وكونهم حديثي عهد بكفر، ولهذا لم يأذن في الإنكار على الأمراء باليد لما يترتب عليه من وقوع ما هو أعظم. [إعلام الموقعين ٣ / ١٥، ١٦].

قال الإمام النووي رحمه الله - في شرحه للحديث السابق -: «وفي هذا الحديث دليل لقواعد من الأحكام منها: إذا تعارضت المصالح أو تعارضت مصلحة ومفسدة وتعذَّر الجمع بين فعل المصلحة وترك المفسدة بُدئ بالأهم، لأن النبي ﷺ أخبر أن نقض الكعبة وردها إلى ما كانت عليه من قواعد إبراهيم ﷺ مصلحة، ولكن تعارضه مفسدة أعظم، وهي خوف فتنة بعض من أسلم قريبًا، وذلك لما كانوا يعتقدونه من فضل الكعبة فيرون تغييرها عظيمًا فتركها ﷺ، ومنها: تألف قلوب الرَّعية وحسن حياطتهم وألا ينفروا، ولا يتعرض لما يخاف تنفيرهم بسببه، ما لم يكن فيه ترك أمر شرعي - كما سبق -». [شرح مسلم ٩ / ٨٩].

وقال ابن حجر رحمه الله في فوائد هذا الحديث: «ترك بعض الاختيار مخافة أن يقصر عنه فهم بعض الناس، والمراد بالاختيار المستحب، وفيه اجتناب ولي الأمر ما يتسرع إلى إنكاره، وما يُخشى منه تولد الضرر عليهم في دين أو دُنيا، وتألف قلوبهم بما لا يُترك فيه أمر واجب، وفيه تقديم الأهم فالأهم من دفع المفسدة وجلب المصلحة». [فتح الباري ٣ / ٤٤٨].

وقد ذكر ابن القيم رحمه الله حادثة عن شيخه ابن تيمية رحمه الله تدل على فقهه في تغييرالواقع، فقال: «وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية - قدس الله روحه ونور ضريحه - يقول: مررت أنا وبعض أصحابي في زمن التتار بقوم منهم يشربون الخمر، فأنكر عليهم مَن كان معي، فأنكرتُ عليه، وقلت: إنما حرم الله الخمر لأنها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة، وهؤلاء يصدهم الخمر عن قتل النفوس وسبي الذرية وأخذ الأموال، فدعهم».

فلله دره ما أفقهه وأعلمه.

وقد كان الصحابة رضي الله عنهم وهم أفقه الناس لهذه الشريعة، أكثر الناس استعمالاً للمصلحة واستنادًا إليها، فهذه المصلحة هي التي جعلت أبا بكر رضي الله عنه يجمع الصحف المفرقة التي كان القرآن مدونًا فيها من قبل في مصحف واحد، وهو أمرٌ لم يفعله النبي ﷺ، وهي التي وجهت عمر رضي الله عنه إلى وضع الخراج وتدوين الدواوين، وهي التي جعلت عثمان رضي الله عنه يجمع المسلمين على مصحف واحد. وهكذا. [ضوابط الخلاف ص٢٠٩]. فالشريعة - إذن - مبنيةٌ على مصالح العباد في العاجل والآجل، وقد حصرها الشاطبي رحمه الله في ثلاثة أقسام:

أحدها: أن تكون «ضرورية»، وهي ما لا بد منها في قيام مصالح الدين والدنيا، بحيث إذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة، بل على فساد وتهارج وفوت حياة، وفي الآخرة فوت النجاة والنعيم المقيم، والرجوع بالخسران المبين، ومجموع الضروريات خمسة، وهي حفظ الدين، والنفس، والنسل، والمال، والعقل، وقد قالوا إنها مراعاة في كل ملة.

والثاني: أن تكون «حاجية» ومعناها: أنها مفتقرٌ إليها من حيث التوسعة ورفعُ الضيق المؤدي - في الغالب - إلى الحرج والمشقة اللاحقة بفوت المطلوب، فإذا لم تراعَ دخل على المكلفين - على الجملة - الحرج والمشقة، ولكنه لا يبلغُ مبلغ الفساد العادي المتوقع في المصلحة العامة.

الثالث: أن تكون «تحسينية»، ومعناها الأخذ بما يليق من محاسن العادات، وتجنب الأحوال المدنسات التي تأنفها العقول الراجحات، ويجمعُ ذلك قسم مكارم الأخلاق. [الموافقات، للشاطبي ٢ / ٨-١١].

وبناءً على ما سبق: يجب أن يُراعى في فقه التغيير أحوال البلاد والعباد، والقوة والضعف، وأن تُراعي سُنة التدرج مع الناس كي يقع منهم القبول، وقد تدرَّج الإسلام في فرض الفرائض ؛ كالصلاة والصيام والجهاد، كما تدرَّج بهم في

تحريم المحرمات كالخمر ونحوها، وعند تجدُّد ظروف مماثلة لظروف قيام المجتمع الأول، أو قريبة منها، نستطيع الأخذ بهذه السنة «سنة التدرج»، وهو تدرج في «التنفيذ»، وليس تدرجاً في «التشريع»، فإن التشريع قد تَمَّ واكتمل بإكمال الدِّين، وإتمام النعمة، وانقطاع الوحي، وهذا هو المنهج الذي سلكه النبي ﷺ لتغيير الحياة الجاهلية إلى حياة إسلامية ؛ فقد ظل ثلاثة عشر عاماً في مكة، كانت مهمته فيها تنحصر في تربية الجيل المؤمن الذي يستطيع - فيما بعد - أن يحمل عبء الدعوة وإنشاء الأُمة والدولة، وتكاليف الجهاد لنشرها في الآفاق.

وبعد هجرة النبي ﷺ وتكوين الدولة الإسلامية، تتابعت الأحكام بعد بناء الأساس، وأقبل الناس على الطاعة والتسليم بعد التربية والإعداد.

ومن طريف ما يُذكر: أن عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز قال لأبيه: «ما لك لا تُنَفِذُ الأمورَ؟ فوالله ما أبالي لو أن القدور غلت بي وبك. فقال له عمر: لا تعجل يا بني، فإن الله ذم الخمر في القرآن مرتين، وحرمها في الثالثة، وإني أخاف أن أحمل الحق على الناس جملة، فيدفعوه جملة، ويكون من ذا فتنة». [الموافقات، للشاطبي ٢ / ٩٣، ٩٤].

ويقول الشاطبي رحمه الله - معلقاً على ذلك -: «وهذا معنى صحيح معتبرٌ في الاستقراء العادي، فكان ما كان أجرى بالمصلحة معتبرٌ في الاستقراء وأجرى على جهة التأنيس، وكان أكثرها على أسباب واقعة، فكانت أوقع في النفوس حين صارت تنزلُ بحسب الوقائع، وكانت أقرب إلى التأنيس حين كانت تنزلُ حكماً حُكماً، وجزئية جزئية، لأنها إذا نزلت كذلك لم ينزل حُكمُ إلا والذي قبله صار عادة، واستأنست به نفس المكلف، فإذا نزل الثاني كانت النفسُ أقرب للانقياد». [الموافقات ٢ / ٩٤].

أهم النتائج التي نخرج بها من هذا البحث

١- عظمة الفقه الإسلامي ومرونته، وقوة معانيه وألفاظه، حيث تتسع لكل ما يجد ويحدث من نوازل.

٢- الأحكام الشرعية ثابتة لا تتبدل ولا تتغير بمرور الزمان وتبدل المكان، وإنما الذي يتغير هو الفتوى بناء على أصول شرعية، وعلل مرعية، ومصالح جنسها مراد الله تعالى ورسوله ﷺ.

٣- الشريعة الإسلامية صالحة ومصلحة لكل زمان ومكان وهذه حقيقة ثابتة معلومة من دين الإسلام بالضرورة.

٤- النبي محمد ﷺ خاتم النبيين ورسالته هي الرسالة الخاتمة ورسالته خالدة باقية إلى يوم الدين، فلا نسخ لها ولا زوال.

٥- للشريعة الإسلامية أوصافٌ كثيرة قد جعلتها صالحة لكل زمان ومكان، من هذه الأوصاف: العموم، البقاء، الحفظ، الشمول، المرونة، والاتساع.

٦- الفتوى لا تتغير بحسب الهوى والتشهي واستحسان العباد واستقباحهم، وإنما بضوابط دقيقة أشرت إليها في البحث، ولا يصلح أن يكون تغير الزمان والأحوال سبباً لتغير الفتوى، وإنما يصلح أن يكون هذا سبباً يدعو المجتهد لإعادة النظر في مدارك الأحكام، فإذا تحقق من ضعف المدرك أو زواله، أو ترجيح غيره عليه لمصلحة معتبرة شرعاً غير موهومة نظر في أمر تغيير الفتوى معتمداً على الدليل الشرعي.

٧- الشريعة قائمة على مراعاة المصالح ودرء المفاسد، ويجب أن يؤخذ هذا في الاعتبار، وعلى المجتهد أن يفهم الواقع وأحوال الأمم وأن يعمل بسنة التدرج.

٨- تغير الفتوى مقصور على طائفة من الناس وهم حملة الشريعة وورثة الأنبياء، أهل الاجتهاد والفتوى، فليس لأحد أن ينازعهم هذا الحق، ولا أن يقول على الله بغير علم.

والله من وراء القصد.

القصة في كتاب الله

يونس

«عليه السلام»

«وذا النون إذ ذهب مغاضباً»

إعداد/ عبدالرازق السيد عيد

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، فبلغ الرسالة، وهدى الله به من الضلالة، وفتح به قلوبا غلفا، وآذانا صما، وأعينا عميا فصلاة ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فنكمل ما ذكرناه في المقالة السابقة بإظهار الحق الواضح في كتاب الله، ومما صح عن رسول الله ﷺ في خبر «يونس» عليه السلام، بل وفي كل أمر، قال تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: ١٨]، ومع الحق نعيش ونعرض لقضيتنا على النحو التالي:

أولاً: الآيات التي وردت فيها القصة عدا الموضعين السابقين اللذين ذكرناهما في المقال السابق من سورتي النساء والأنعام.

١- قال تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧-٨٨].

٢- قال تعالى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (١٣٩) إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (١٤٠) فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ (١٤١) فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ (١٤٢) فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (١٤٣) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٤٤) فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ (١٤٥) وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ (١٤٦) وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الصافات: ١٣٩-١٤٨].

٣- قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾[يونس: ٩٨].

٤- قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ (٤٨) لَوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ (٤٩)

فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [القلم: ٤٨-٥٠].

ثانيا: عرض مجمل للقصة:

نقدِّم هنا عرضاً مجملاً للقصة على ضوء الآيات السابقة، وبما صحّ من أقوال أهل العلم:

١- قال الإمام ابن كثير - رحمه الله - في تفسير سورة الأنبياء: «هذه القصة مذكورة ههنا وفي سورة الصافات وفي سورة «ن»، وذلك أن يونس (عليه السلام) بعثه الله إلى أهل قرية نينوى، وهي قرية في أرض الموصل فدعاهم إلى الله تعالى فأبَوْا عليه وتمادوا في كفرهم، فخرج من بين أظهرهم مغاضباً لهم ووعدهم بالعذاب بعد ثلاث، فلما تحققوا من ذلك وعلموا أن النبيّ لا يكذب خرجوا إلى الصحراء بأطفالهم وأنعامهم ومواشيهم وفرقوا بين الأمهات وأولادها، ثم تضرعوا إلى الله عز وجل، وجأروا إليه ورغت الإبل وفصْلانها وخارت البقر وأولادها، وثغت الغنم وسخالها، فرفع الله عنهم العذاب، وذلك قوله تعالى: ﴿فَلَوْلاَ كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الخِزْيِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾». اهـ.

٢- أما يونس (عليه السلام) فاستمر في طريقه إلى أن ركب سفينة مزدحمة بالركاب، وتغيّرت حالة البحر، وارتفع الموج، وتهدد الركاب بالغرق، ووقع على يونس السهم بالاقتراع للتخلص منه بإلقائه في البحر، وسخر الله له حوتاً في انتظاره، فالتقمه ولم يكسر له عظماً أو يمزق له لحماً بأمر الله له، إلى أن ألقاه بعد ذلك على الشاطئ وعاد إلى قومه مرشداً حتى توفاه الله - سبحانه - ودفن هناك وقبره معروف الآن (عليه السلام) في الموصل من أرض العراق ومعلوم للناس.

٣- نقل ابن حجر - رحمه الله - في الفتح عن ابن أبي حاتم من طريق السدي عن أبي مالك قال: «لبث يونس في بطن الحوت أربعين يوماً، ومن طريق جعفر الصادق قال: سبعة أيام، ومن طريق قتادة قال: ثلاثاً ومن طريق الشعبي قال: التقمه ضحى، ولفظه عشية». اهـ. والله تعالى أعلم بالصواب.

ثالثا: وقفات في تدبر الآيات نصوغها في كلمات:

الأولى: هناك فرق بين غضب ومغاضبة وقتال ومقاتلة:

حول قوله تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِباً..﴾ مغاضبة على وزن مفاعلة مثل مقاتلة ومصارعة لا تكون إلا بين طرفين فقوم يونس أغضبوه بإصرارهم على كفرهم، وقد مكث فيهم يدعوهم أكثر من ثلاثين سنة فلم يؤمن معه إلا رجلان فغضب عليهم وهددهم بوقوع العذاب عليهم بعد ثلاث وهجرهم، وقد روى السدّي في تفسيره بأسانيده عن ابن مسعود وغيره: «إن الله بعث يونس إلى أهل نينوى فكذبوه فوعدهم بنزول العذاب في وقت معين، وخرج عنهم مغاضباً لهم». وقد روى ابن أبي حاتم من طريق عمرو بن ميمون عن ابن مسعود رضي الله عنه بإسناد صحّحه الحافظ ابن حجر في الفتح وفيه: «وأصبح يونس فأشرف على القرية فلم ير العذاب، وكان في شريعتهم من كذب قُتل فانطلق مغاضباً». وهناك رواية أخرى عن ابن مسعود أيضاً من طريق ابن مردويه عن النبي ﷺ، وفيها «أن يونس لما وعدهم العذاب خرج عنهم - وكانت الأنبياء إذا وعدت قومها العذاب خرجت عنهم».

وفي ذات الرواية أيضاً: «وقعد يونس في الطريق يسأل عن الخبر فمر رجل فسأله: ما فعل قوم يونس؟ فحدثه بما صنعوا، فقال: لا أرجع إلى قوم قد كذبوني وانطلق مغاضباً». هذا هو المعنى الصحيح لقوله تعالى: «مغاضباً»، وقد نقله جميع المفسرين إلا من تأثر بقول اليهود كما أسلفنا فهم الذين زعموا أن يونس خرج مغاضباً لربه أي هارباً من أمره وحكمه، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وإتماماً للبيان فقد نقل صاحب «فتح البيان»: أن «مغاضباً» أي مراغماً لقومه لا ربه، ولكنه هناك ذكر نكتة لطيفة ألا وهي نقله عن الحسن والشعبي وسعيد قولهم في معنى «مغاضباً» أي مناجياً لربه، واختار هذا القول ابن جرير والتعنبي، لكن المعنى مغاضباً لأجل لربه ولأجل دين ربه، وقد نقل رحمه الله توضيح هذا المعنى عن ابن مسعود رضي الله عنه فيعود المعنى في جميع الأحوال مغاضباً قومه لأجل ربه.

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

وسائل التغريب في بلاد المسلمين

إعداد/ أسـامة سليمـان

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده... وبعد:

ذكرنا أن الغرب استخدم كثيرًا من الوسائل لإحداث التغيير في المجتمعات المسلمة وصبغها بالصبغة الغربية، وإزالة هويتها الإسلامية وتخريج جيلا خال من الدين يتبنى اللادينية والعقلانية ودفعه إلى المناصب القيادية، وعزل أصحاب العقيدة وأتباع السلف عن الحياة والتوجيه والتأثير بهدف إبعاد الطابع الإسلامي عن واقع المسلمين، فكانت سياسة الاستعمار في كل بلاد المسلمين، تمكين المستعمرين والعلمانيين لتولي عملية التحول لبلاد المسلمين بعد رحيله عن البلاد بجنوده ومدافعه.

وكان من أبرز تلك الوسائل:

١- البعثات والإرساليات العلمية:

كان محمد علي باشا هو رائد تلك الغاية، شجعه على ذلك فرنسا، فتبنى إرسال عدد من أبناء المسلمين إلى بلاد أوروبا في بعثات دراسية بهدف صنع دعاة للفكر الغربي وتخريج دارسين لصناعة أوربا متعلقين بالمجتمع الأوروبي، منبهرين بزخارف حضارته المادية، ومن أبرز هؤلاء الذين نادوا بتقليد الغرب واتباع ثقافته: رفاعة الطهطاوي، وطه حسين، وقاسم أمين، وعبد الرحمن الكواكبي، ومحمد عبده، وأحمد لطفي السيد، وعلي عبد الرزاق، والخديوي إسماعيل، وسعد زغلول، وآخرون يعتبرهم الكثير من العوام من الأعلام بيد أنهم في ميزان الشرع أقزام.

١- رفاعة رافع الطهطاوي:

مع أنه صعيدي النشأة وأحد خريجي الأزهر، إلا أنه كان من أوائل المبعوثين إلى أوربا، مكث في فرنسا ما يقرب من خمس سنوات ١٨٢٦- ١٨٣١ تعلم فيها الفرنسية، وخالط أهلها وتأثر بهم وعاد من فرنسا ينادي بالوطنية والفرعونية والقومية وإطلاق الحريات وتقنين الشريعة على نمط المدونات الأوروبية الوضعية، بالإضافة إلى حديثه عن تحديد الطلاق ومنع تعدد الزوجات واختلاط الجنسين حتى وصف الرقص الغربي بأنه لون من ألوان الفتوة فضلاً عن ترجمته لبعض الكتابات الأوروبية التي ساعدت على انتشار العلمانية وتفعيلها في مصر المسلمة.

٢- طه حسين:

من أبرز دعاة التغريب في العالم الإسلامي، تلقى علومه على يد المستشرق اليهودي (دور كايم)، فتربى على شبهات المستشرقين وتأثر بآرائهم وتبنى الكثير منها، يتضح ذلك جليًا في كتابيه «الشعر الجاهلي»، و«مستقبل الثقافة في مصر»، حيث دعا في كتابه «مستقبل الثقافة في مصر» إلى السير على سيرة الأوروبيين في الحكم والإدارة والتشريع، ونادى بحمل مصر على الحضارة الغربية، لأن مصر في زعمه جزء من أوروبا، وأن العقل المصري عقل يوناني غربي، ومن ذلك قوله: «إن سبل النهضة واضحة بينة مستقيمة ليس فيها عوج ولا التواء وهي أن نسير سيرة الأوربيين

ونسلك طريقهم لنكون لهم أندادًا ولنكون شركاء لهم في الحضارة».

وإبان صدور هذا الكتاب تولى منصب وزير المعارف كمقابل له على إبداعه وانصهاره مع العقل الغربي، ووصفه للشريعة الإسلامية بالنظام العتيق الذي يجب أن نتخلص منه إلى اللادينية والذي يجب أن يكون نظام الحكم فيه على أساس مدني لا دخل للدين فيه.

أما في كتابه «الفتنة الكبرى»، فالتشنيع على الصحابة الأطهار والانتقاص منهم وإثارة الشبهات حولهم هو المنهج الذي سلكه في الكتاب، وإليك نماذج مما قال:

١- قوله عن عمرو بن العاص رضي الله عنه: «وهنا ظهر عمرو بن العاص الذي لم يكن أقل دهاء ولا أدنى مكرًا ولا أهون كيدًا من معاوية...».

٢- يقول عن معاوية رضي الله عنه في موقفه من أبي ذر رضي الله عنه: «وقد ضاق معاوية برجل عظيم الخطر من أصحاب النبي ﷺ هو أبو ذر ولم يستطع أن يبطش به لمكانه من رسول الله ﷺ وإيثاره إياه ولسابقته في الإسلام، ولم يستطع أن يفتنه عن دينه بالمال».

٣- أما عن خالد بن الوليد رضي الله عنه فيقول عنه: «إنه قتل مالك بن نويرة حبًا في امرأته، فضلاً عن وصفه بالعجب والخيلاء، بل ذهب إلى أن خالدًا في فتوحاته أجرى ماء النهر بدماء أعدائه.

ولم يسلم منه كذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حيث وصفه في أكثر من موضع بالبطش وأنه لم يمت حتى مَلَّكَتْه قريش، وأن الصحابة كانوا ينافقونه.

ليس هذا فحسب، بل راح يطعن في كبار الصحابة كابن عباس، والزبير، وطلحة، وعلي، وسعد بن أبي وقاص، وأبي هريرة، وعثمان بن عفان، وغيرهم، وصورهم بالقتال على الدنيا، ومن أجل متاعها الزائل.

ولم يكن كتاب «الفتنة الكبرى» فقط هو السبيل لطعن طه حسين على صحابة النبي الأخيار، وإنما راح أيضًا في كتبه: «مرآة الإسلام»، و«الشيخان»، و«الوعد الحق» ليشكك في نظام الحكم الإسلامي في عهد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما بالإضافة إلى جحوده ونفيه لشخصية عبد الله بن سبأ اليهودي الخبيث الذي صنع الرفض بمعتقداته الباطلة، وحول هذا المعنى يقول: «إن الناس كانوا يعارضون حكم عمر ولكنهم يخشونه ويخافون منه، والثورة على عثمان دليل فشل التجربة الإسلامية، وأن الوقت لم يعد في مصلحة الحكم والخلافة الإسلامية».

ويقول أيضًا: «ويخيل لي أن الذين يكبرون من أمر ابن سبأ إلى هذا الحد يسرفون على أنفسهم وعلى التاريخ إسرافًا شديدًا».

أما في كتابه «الشعر الجاهلي» الذي استمد معظم آرائه فيه من المبشر زويمر والمستشرق اليهودي مارجليون، فقد راح طه حسين يشكك في كل ما ينكره عقله وهواه، حتى إنه حوكم بسبب كتابه هذا الذي ادعى فيه أن الشعر الجاهلي من وضع المسلمين الأوائل ولا علاقة له بالجاهلية وضعه المسلمون الأوائل ترويجًا لدينهم وتعظيمًا لنبيهم القرشي وتصديقًا لنبوته، وهذا وصف لهم بالتلفيق والكذب والوضع، فهل هذا يليق بسلف الأمة؟ ولكنه عمي البصيرة، ولا يفوتك أخي ما لهذا الادعاء من عدم تصديق السلف الصالح في كل ما نقلوا لنا من أحاديث وآثار لأن الثقة فيهم لم تعد معتبرة بزعم طه حسين.

وتزداد مصائب عميد الأدب حينما يثني على رسائل إخوان الصفا ووصفهم بالمجددين المصلحين مع إجماع أهل العلم المعتبرين على شرها وخروجها واحتوائها على عقائد فلسفية من اعتقادات الباطنية والفلاسفة والتي منها:

١- إنكار البعث بالأجساد في الآخرة.

٢- إنكار الشياطين على الصورة المعروفة عند المسلمين.

٣- اعتقاد أن النبوة تكتسب عن طريق الرياضة وصفاء القلب.

٤- الميل إلى معتقدات الرافضة من عصمة الأئمة والتقية.

٥- الدعوة إلى وحدة الأديان.

٦- تفسير الكفر والعذاب تفسيرًا باطنيًا معنويًا.

هذا قليل من كثير عن دور عميد الأدب الذي يتبنى البعض أفكاره، ويصورونه للأجيال بأنه قاهر الظلام، وأنه جعل التعلم كالماء والهواء، وأنه من الأعلام ورواد الفكر والثقافة.

والله من وراء القصد.

الطفيل بن عمرو الدوسي

رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

إعداد/ نايف بن أحمد الحمد

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فهذه كلمات يسيرة في ترجمة سيد من سادات العرب في الجاهلية والإسلام، وحكيم من حكمائهم وشاعر من شعرائهم إنه سيد دوس الطفيل بن عمرو، فقد كان مطاعًا في قومه، شاعرًا لبيبًا شريفًا كثير الضيافة، قدم مكة أول الدعوة.

نسبه

الطفيل بن عمرو بن طريف بن العاص بن ثعلبة بن سليم بن فهم بن غنم بن دوس الدوسي، وقيل: هو ابن عبد عمرو بن عبد الله بن مالك بن عمرو بن فهم لقبه ذو النور.

إسلامه

قال ابن إسحاق: وكان رسول الله ﷺ على ما يرى من قومه يبذل لهم النصيحة ويدعوهم إلى النجاة مما هم فيه، وجعلت قريش حين منعه الله منهم يحذرونه الناس ومن قدم عليه من العرب.

وممن حذرته قريش الطفيل رضي الله عنه، فها هو يروي لنا كيف أسلم، فيقول: كنت رجلاً شاعرًا سيدًا في قومي، فقدمت مكة فمشيت إلى رجالات قريش فقالوا: يا طفيل إنك امرؤ شاعر سيد مطاع في قومك وإنا قد خشينا أن يلقاك هذا الرجل فيصيبك ببعض حديثه فإنما حديثه كالسحر فاحذره أن يدخل عليك وعلى قومك ما أدخل علينا وعلى قومنا فإنه يفرق بين المرء

وابنه وبين المرء وزوجه وبين المرء وأبيه فوالله ما زالوا يحدثونني في شأنه وينهونني أن أسمع منه حتى قلت: والله لا أدخل المسجد إلا وأنا ساد أذني.

قال: فعمدت إلى أذني فحشوتهما كرسفًا ثم غدوت إلى المسجد، فإذا برسول الله ﷺ قائم في المسجد، قال: فقمت منه قريبًا وأبى الله إلا أن يسمعني بعض قوله. قال: فقلت في نفسي: والله إن هذا للعجز، والله إني امرؤ ثبت ما يخفى عليَّ من الأمور حسنها ولا قبيحها والله لأستمعن منه فإن كان أمره رشدًا أخذت منه وإن كان غير ذلك اجتنبته فقلت بالكرسفة فنزعتها من أذني فألقيتها ثم استمعت له فلم أسمع كلامًا قط أحسن من كلام يتكلم به. قال: قلت في نفسي: يا سبحان الله، ما سمعت كاليوم لفظًا أحسن منه ولا أجمل. قال: ثم انتظرت رسول الله ﷺ حتى انصرف فاتبعته فدخلت معه بيته فقلت له: يا محمد، إن قومك جاؤوني فقالوا كذا وكذا فأخبرته بالذي قالوا وقد أبى الله إلا أن أسمعني منك ما تقول، وقد وقع في نفسي أنه حق وإني شاعر فاسمع ما أقول، فقال النبي ﷺ: هات. فأنشدت. فقال رسول الله ﷺ: وأنا أقول فاسمع. ثم قرأ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» [الإخلاص: ١] إلى آخرها، و«قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ» [الفلق: ١] إلى آخرها، و«قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ» [الناس: ١] إلى آخرها، وعرض عليَّ الإسلام، فلا والله ما سمعت قولاً قط أحسن منه ولا أمرًا أعدل منه فأسلمت.

تهديد قريش له

وبعد إسلامه بلغ ذلك قريشًا فهددوه وتوعدوه وذكرهم بأنه سيد دوس، وأنهم لو تعرضوا له فلن تتركهم فهابوه وتركوه.

دعوته قومه

قال رضي الله عنه: قلت: يا رسول الله، إني أرجع إلى دوس وأنا فيهم مطاع، وأنا داعيهم إلى الإسلام لعل الله أن يهديهم فادع الله أن يجعل لي آية تكون لي عونًا عليهم فيما أدعوهم إليه، فقال: «اللهم اجعل له آية تعينه على ما ينوي من الخير».

قال: فخرجت حتى أشرفت على ثنية أهلي التي تهبطني على حاضر دوس. قال: وأبي هناك شيخ كبير وامرأتي ووالدتي، قال: فلما علوت الثنية وضع الله بين عيني نوراً يتراءاه الحاضر في ظلمة الليل وأنا منهبط من الثنية. فقلت: اللهم في غير وجهي فإني أخشى أن يظنوا أنها مثلة لفراق دينهم فتحول في رأس سوطي فلقد رأيتني

أسير على بعيري إليهم وإنه على رأس سوطي كانه قنديل معلق فيه حتى قدمت عليهم.

لذا كان لقبه ذا النور

قال: فأتاني أبي فقلت: إليك عني فلست منك ولست مني، قال: وما ذاك يا بني؟ قال: فقلت: أسلمت واتبعت دين محمد. فقال: أي بنيَّ، فإن ديني دينك. قال: فأسلم وحسن إسلامه ثم أتتني صاحبتي فقلت إليك عني فلست منك ولست مني. قالت: وما ذاك بأبي وأمي أنت. قلت: أسلمت وابتعت دين محمد فلست تحلين لي ولا أحل لك. قالت: فديني دينك، قال: قلت: فاعمدي إلى هذه المياه فاغتسلي منها وتطهري وتعالي. قال: ففعلت ثم جاءت فأسلمت وحسن إسلامها.

وهنا نلاحظ كيف أنه رضي الله عنه وقد قطع تلك المسافة الطويلة من مكة إلى بلده على جملة ومع ذلك بدأ بالدعوة إلى الله تعالى قبل أن يرتاح ويلقي تعب السفر ووعثاءه عنه فهم القوم صدقوا الله تعالى فصدقهم.

قال رضي الله عنه: ثم دعوت دوسًا إلى الإسلام فأبت عليَّ وتعاصت ثم قدمت على رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله، غلب علَى دوس الزنا والربا فادع الله عليهم. فقال: «اللهم اهد دوسًا». [البخاري ٢٧٢٠، ومسلم ٤٥٨٦].

ثم رجعت إليهم، قال: وهاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة فاقمت بين ظهرانيهم أدعوهم إلى الإسلام حتى استجاب لي منهم من استجاب، وسبقني بدر وأحد والخندق مع رسول الله ﷺ، ثم قدمت على رسول الله ﷺ بثمانين أو تسعين أهل بيت من دوس إلى المدينة، فكنت مع رسول الله ﷺ حتى فتح الله مكة.

هدمه أحد أصنام مشركي العرب

وبعد فتح مكة في السنة الثامنة بدأ النبي ﷺ يبعث رسله لهدم الأصنام وحرقها وممن بعثه الطفيل رضي الله عنه، فقال: قلت: يا رسول الله، ابعثني إلى ذي الكفين - صنم عمرو بن حممة الدوسي - وهو الصنم الذي كان يعبده في الجاهلية - حتى أحرقه، قال: أجل، فاخرج إليه فحرقه، قال: فخرجت حتى قدمت عليه. قال: فجعلت أوقد النار

وهو يشتعل بالنار واسمه ذو الكفين وأنا أقول:

يا ذا الكفين لست من عبادكا
ميلادنا أكبر من ميلادكا
إني حشوت النار في فؤادكا

قال: فلما أحرقته أسلموا جميعًا.

نستفيد هنا أنه رضي الله عنه طلب أن يهدم صنم قومه بيده نصرة لله ورسوله ﷺ.

وانحدر معه من قومه أربعمائة سراعًا فوافو النبي ﷺ بالطائف بعد مقدمه بأربعة أيام.

تعلمه القرآن

قرأ القرآن على أُبي بن كعب رضي الله عنه

في حياة النبي ﷺ، ومن بركاته رضي الله عنه ما رواه مسلم عن جابر رضي الله عنه: أن الطفيل بن عمرو الدوسي أتى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، هل لك في حصن حصين ومنعة ؟ قال: حصن كان لدوس في الجاهلية فأبى ذلك النبي ﷺ للذي ذَخَرَ الله لأنصار، فلما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة هاجر إليه الطفيل بن عمرو وهاجر معه رجل من قومه فاجتووا المدينة فمرض فَجَزِعَ فأخذ مشاقص له فقطع بها براجمة فشخبت يداه حتى مات، فرآه الطفيل بن عمرو في منامه فرآه وهيئته حسنة ورآه مغطيًا يديه، فقال له: ما صنع بك ربك؟ فقال: غفر لي بهجرتي إلى نبيه ﷺ. فقال: ما لي أراك مغطيًا يديك ؟ قال: قيل لي: لن نصلح منك ما أفسدت، فقصها الطفيل على رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم وليديه فاغفر». [مسلم ١١٦].

وفاته

لما توفي النبي ﷺ وارتد من ارتد من العرب عن دين الله تعالى واتفق الصحابة على قتال المرتدين وبدأ خليفة رسول الله ﷺ أبو بكر رضي الله عنه ببعث الجيوش لقتالهم، كان الطفيل رضي الله عنه ممن ذهب لقتال مسيلمة الكذاب، وخرج معه ابنه عمرو، قال رضي الله عنه: حتى إذا كنا ببعض الطريق رأيت رؤيا فقلت لأصحابي إني رأيت رؤيا عبروها، قالوا: وما رأيت ؟ قلت: رأيت رأسي حلق وأنه خرج من فمي طائر وأن امرأة لقيتني وأدخلتني في فرجها وكان ابني يطلبني طلبًا حثيثًا فحيل بيني وبينه. قالوا: خيرًا. فقال: أما أنا والله فقد أولتها، أما حلق رأسي فقطعه، وأما الطائر فروحي، وأما المرأة التي أدخلتني في فرجها فالأرض تحفر لي وأدفن فيها، فقد رجوت أن أقتل شهيدًا، وأما طلب ابني إياي، فلا أراه إلا سيغدو في طلب الشهادة ولا أراه يلحق بسفرنا هذا.

فقتل الطفيل رضي الله عنه شهيدًا يوم اليمامة وقطعت يدا ابنه، ثم استبل وصحت يده، فبينا هو عند عمر رضي الله عنه إذ أتي بطعام فتنحى عنه، فقال عمر: ما لك لعلك تنحيت لمكان يدك ؟ قال: أجل، قال: والله لا أذوقه حتى تسوطه بيدك، فوالله ما في القوم أحد بعضه في الجنة غيرك.

ثم خرج ام اليرموك في خلافة عمر رضي الله عنه فقتل شهيدًا.

رضي الله عنهم أجمعين، وحشرنا وإياهم في زمرة سيد المرسلين نبينا محمد، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

باب التراجم

الشيخ عبدالقادر شيبة الحمد

إعداد/ فتحي أمين عثمان

مولده: ولد في (٢٠ جمادى الآخر سنة ١٣٣٩هـ) الموافق ٢٨ فبراير ١٩٢١م من أسرة تنتمي إلى قبيلة بني هلال المعروفة والتي انتقلت إلى مصر في منتصف القرن الرابع الهجري.

وهلال هو ابن عامر بن صعصعة بن قيس عيلان من مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

- حفظ القرآن الكريم في الكُتاب.

- التحق بالأزهر الشريف وحصل على الثانوية الأزهرية، ثم التحق بكلية الشريعة وحصل منها على شهادة العالمية.

- عُين مدرسًا بمدرسة الجنينة ببلاد النوبة، وذلك في شوال سنة ١٣٦٤هـ الموافق ١ أكتوبر من عام ١٩٤٥م.

صلته بالشيخ حامد الفقي - رحمه الله - وأنصار السنة المحمدية بمصر:

يقول - حفظه الله -: عندما كنت طالبًا بالمعهد الديني بالأزهر درست على يد الشيخ عبد الجليل عيسى أبو النصر، عضو هيئة كبار العلماء - آنذاك- وعميد كلية اللغة العربية كتاب صفوة صحيح البخاري وشرحه له، وقد كان حريصًا على دحض الخرافات والأباطيل المنتشرة، ولا سيما ما يتصل بتحذيره من اتخاذ القبور مساجد، ودعاء غير الله، فتاثرت به.

وقد حاول أن يطبق ذلك مع أهل قريته، حيث كانوا يرددون قصيدة للمرغني يدعو فيها الناس لعبادته، حيث يقول:

إذا كنت في هم وغم فنادني
أيا مرغني أنجيك من كل ضيقتي
فاسمي مكتوب على ساق عرشه
وفي اللوح محفوظ فاتقن عبادتي

وللشيخ شيبة الحمدقصيدة ينصح فيها

هؤلاء القوم ويبين لهم أن هذا شرك أكبر وسماها النصيحة، ثم شرحها بشرح لطيف اسماه: «الروضة الفسيحة في شرح النصيحة».

ويقول: قلت في شرح قولي:

فخير الورى المختار ما كان مالكًا
لنفع وذا نتلوه في نص آية

أعني بذلك أن رسول الله ﷺ مع قربه لربه وعظم منزلته لم يكن يملك لنفسه ولا لغيره نفعًا ولا ضرًا، حيث يقول له عز وجل: ««قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ»».

- لما عين عام ١٣٧٠ مدرسًا في الزقازيق اختارته أنصار السنة لأن يكون رئيسًا للجماعة هناك، وفي العام ١٣٧٠هـ حج وصاربينه وبين الشيخ محمود شويل رحمه الله مودة، وحضر عنده مدعوًا للغداء في بيته بالشامية بمكة، وقد حضر معه من المدعوين الشيخ حامد الفقي والشيخ عبد الرزاق حمزة، والشيخ عبد الرزاق عفيفي، والشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن حسن آل الشيخ، والشيخ عبد المهيمن أبو السمح إمام المسجد الحرام، رحم الله الجميع.

- ولما حضر إلى مصر الشيخ عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ للتعاقد مع مدرسين للمعاهد الدينية وصاه الشيخ حامد بالحرص على التعاقد مع الشيخ شيبة الحمد، وكان ذلك عام ١٣٧٥هـ.

- تولى التدريس في معهد بريدة العلمي ابتداء من ١ / ١ / ١٣٧٦هـ إلى أن عين مدرسًا في كليتي الشريعة واللغة العربية في الرياض في مطلع العام الدراسي ١٣٨٠هـ، واستمر في عمله هذا حتى عين مدرسًا بالقسم العالي في الجامعة الإسلامية في ١ / ٥ / ١٩٨٢م.

وقد درس في كليات الشريعة والدعوة وأصول الدين والقرآن.

انتدب للتدريس في المعهد العالي للدعوة الإسلامية التابع لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ثم انتقل للتدريس في قسم الدراسات العليا في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة.

- كما قام بتفسير القرآن العظيم في المسجد النبوي وانتهى منه في أربعة عشر عامًا.

إنتاجه العلمي:

من مؤلفاته المطبوعة:

«حقوق المرأة في الإسلام»، و«الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة»، و«إمتاع العقول بروضة الأصول في أصول الفقه»، و«إثبات القياس في الشريعة الإسلامية والرد على منكريه»، و«من المذاهب الهدامة»، و«تحقيقات عن ليلة القدر»، و«قصص الأنبياء: القصص الحق»، و«القصص الحق في سيرة سيد الخلق»، و«تفسير سورة (ق)، و(ق)، و(النجم)، و(اقتربت الساعة) التي أمليت على طلبة الشهادة العالمية في كلية اللغة العربية بالرياض في عام ١٣٧٩هـ، وقد طبعت تحت عنوان (أضواء على التفسير) في مجلة الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة.

- وقصيدة النصيحة وشرحها المسمى «بالروض الفسيحة».

ومن مؤلفاته المطبوعة: «تهذيب التفسير وتجويد التأويل مما لحق به من الأباطيل»، وقد تم من أول سورة الفاتحة إلى سورة التوبة في ٦ مجلدات، كذلك قام بتحقيق كتاب فتح الباري.

فجزاه الله خير الجزاء، ومتعه بالصحة والعافية.

واحة التوحيد

من هدي رسول الله ﷺ

الصيام في شهر المحرم

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلي الله علية وسلم قال: «أفضل الصلاة بعد المكتوبة الصلاة في جوف الليل، وأفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم». [صحيح مسلم].

من نور كتاب الله

ابدأ عامك بالتجارة مع الله

«إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ (٢٩) لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ» [فاطر: ٢٩، ٣٠].

فضل صيام عاشوراء

عن أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سُئل عن صوم عاشوراء؟ فقال: «يكفر السنة الماضية». [صحيح مسلم].

من دلائل النبوة

إخباره بفتح فارس والروم

عن ابن عمرو رضي الله عنهما قال: قال ﷺ: «إذا فتحت عليكم فارس والروم أي قوم أنتم؟ قيل: نكون كما أمر الله، قال: أو غير ذلك؟ تتنافسون ثم تتحاسدون ثم تتدابرون ثم تتباغضون ثم تنطلقون في مساكين المهاجرين فتجعلون بعضهم على رقاب بعض». [صحيح مسلم].

فالرسول ﷺ حذر من التنافس الواقع بين المسلمين وسببه اتباع الشهوات وترك ما عليه الرسول وأصحابه.

من فضائل الصحابة

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال لي رسول الله ﷺ في مرضه ادعى لي أبا بكر أباك وأخاك حتى أكتب كتابًا فإني أخاف أن يتمنى متمن ويقول قائل أنا ولا. (أي: أنا أحق، أي بالخلافة). ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر. [صحيح مسلم].

من أقوال السلف

عن عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - أنه قال في خطبته: ألا إن ما سن رسول الله ﷺ وصاحباه فهو دين نأخذ به وننتهي إليه، وما سن سواهما فإنا نرجيه (أي نؤخره).

وعن ابن مسعود قال: أتحب أن يسكنك الله وسط الجنة عليك بالجماعة. [كنز العمال].

إعداد/ علاء خضر

حكم ومواعظ

عن علي رضي الله عنه أنه سُئل عن حُسن الظن فقال: من حسن الظن أن لا ترجو إلا الله، ولا تخاف إلا ذنبك.

عن يحيى بن أبي كثير رحمه الله، قال: خصلتان إذا رأيتهما في الرجل، فاعلم أن ما وراءهما خير منهما: إذا كان جالسًا حابسًا للسانه، يحافظ على صلاته. [كنز العمال].

من فتاوى الصحابة في كيفية معاملة العصاة

عن الحارث بن سويد قال: سأل رجل ابن مسعود: إن لي جارًا لا يتورع عن أكل الربا، ولا من أخذه ما لا يصلح، وهو يدعونا إلى طعامه، وتكون الحاجة فنستقرضه (أي نقترض منه مالاً)، فما ترى في ذلك؟ قال: إذا دعاك إلى طعامه فأجبه، وإذا كانت لك حاجة فاستقرضه، فإن إثمه عليه ومهنؤه لك. [كنز العمال].

لا تضيع مظلمتك في الآخرة

عن عائشة رضي الله عنها أنها سرق لها شيء فجعلت تدعو عليه، فقال لها رسول الله ﷺ: «لا تسبخي عنه». ومعنى «لا تسبخي عنه»: أي: لا تخففي عنه العقوبة وتنقصي أجرك في الآخرة بدعائك عليه. [رواه أبو داود].

من حكمة الشعر

قيل في الانشغال بجمع المال وعدم التزود بالأعمال الصالحة

يا جامعَ المالِ في الدنيا لوارثه
هل أنت بالمالِ قبل الموتِ منتفعُ؟

قدمْ لنفسكَ قبل الموت في مَهَل
فإن حظكَ بعد الموتِ منقطعُ

من جوامع الدعاء في قضاء الدين

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاءت فاطمة إلى النبي ﷺ تسأله خادمًا، فقال لها قولي: «اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء، منزل التوراة والإنجيل والقرآن، فالق الحب والنوى أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته، أنت الأول ليس قبلك شيء، وأنت الآخر ليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عني الدين، واغنني من الفقر». [جامع الترمذي].

لا تغتروا بالباطل وإن كثر

عن سليم بن قيس العامري قال: سأل ابن الكوا عليًا عن السنة والبدعة، وعن الجماعة والفرقة، فقال: يا ابن الكوا حفظت المسألة فافهم الجواب: السنة والله سنة محمد ﷺ، والبدعة ما فارقها، والجماعة والله مجامعة أهل الحق، وإن قلوا، والفرقة مجامعة أهل الباطل، وإن كثروا. [كنز العمال].

دراسات شرعية

أثر السياق

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وبعد:

فإن فهم النصوص فهمًا صحيحًا يؤدي إلى ضبط التصور، وبالتالي صحة العمل، وإن عدم الفهم الصحيح يؤدي إلى أخطاء وضلالات، قلّت أو كثرت، فكلٌ بحسبه.

فما البدع - الكبرى والصغرى - التي ظهرت على مدى تاريخ الإسلام إلا بسبب الفهم الخاطئ للنصوص.

يقول الشاطبي في «الاعتصام» عند الكلام عن استدلال أهل البدع: «...كان الواجب عليه (المبتدع) أن يأخذ الاستدلال مأخذ أهله العارفين بكلام العرب وكليات الشريعة ومقاصدها، كما كان السلف الأول يأخذونها».

ثم أرجع السبب في ذلك: «...إما لعدم الرسوخ في معرفة كلام العرب والعلم بمقاصده، وإما لعدم الرسوخ في العلم بقواعد الأصول التي من جهتها تستنبط الأحكام الشرعية، وإما لعدم الأمرين جميعًا...».

ثم تكلم عن خطأ استدلالهم وفهمهم، فقال:...وهو شأن من يأخذ الأدلة من أطراف العبارة الشرعية، ولا ينظر (يربط) بعضها ببعض، فيوشك أن يزل، وليس هذا من شأن الراسخين...

ثم يقول أيضًا عن أسباب البدع:...إذ أن حصر التدبر في جزئية من جزئيات النص، قد يؤدي إلى الخطأ في الفهم والاستنباط، فربما استنبط حكمًا من نص عام دون أن يعرف مخصصه، أو استنبط حكمًا من نص مطلق دون أن يعرف مقيده، أو من نص مرجوح دون معرفة الراجح، أو من نص منسوخ، أو ما شاكل ذلك فيحدث الزلل في الفهم والاستنباط.

وإن من أهم ما يساعد على فهم النص، هو سياق النص، فما هو هذا السياق؟

السياق: هو الأسلوب الذي يجري عليه الكلام.

اصطلاحًا: هي القرائن التي تحيط بالنص، وتساهم في عملية فهمه، وقيل: هو الغرض الذي سيق لأجله الكلام، ويستدل على هذا الغرض، إمًا من ذكره في النص أو من نص آخر أو من أسباب النزول وأسباب الورود.

أهمية السياق

إن عدم اعتبار السياق للنص تؤدي إلى الخطأ في فهم النص، سواء كان هذا الخطأ كليًا أو جزئيًا.

يقول الإمام الشاطبي في «الموافقات» مبررًا أهمية السياق: كلام العرب على الإطلاق لا بد من اعتبار معنى المساق (أي السياق فهم كانوا يستخدمون المساق والمساقات بمعنى السياق) في دلالة الصيغ، وإلا صار ضحكة وهزءة.

ويقول أيضًا: إن المساقات تختلف باختلاف الأحوال، والأوقات، والنوازل، وهذا معلوم في علم المعاني والبيان، فالذي يكون على بال من المستمع والمتفهم: الالتفات إلى أول الكلام وآخره بحسب القضية، وما اقتضاه الحال فيها، لا ينظر في أولها دون آخرها، ولا في آخرها دون أولها.

ويقول الإمام الشافعي في «الرسالة»: وتبتدئ الشيء من كلامها (أي العرب) يبين أول لفظها فيه عن آخره، وتبتدئ الشيء يبين آخر لفظها منه عن أوله.

ويقول الإمام ابن حزم في الإحكام: والحديث والقرآن كله كلفظة واحدة فلا يحكم بآية دون أخرى، ولا بحديث دون آخر، بل يضم كل ذلك بعضه إلى بعض، إذ ليس بعض ذلك أولى بالاتباع من بعض، ومن فعل غير هذا، فقد تحكّم بلا دليل. [الموافقات، الرسالة، الإحكام في أصول الأحكام، السياق وأثره في دلالات الألفاظ، د. عبد المجيد السوسوة].

أمثلة على أهمية السياق

١- في قول الله تعالى: «ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ

في فهم النص

الحلقة الأولى

إعداد/ متولي البراجيلي

الْكَرِيمُ» [الدخان: ٤٩]. لو أخذنا الآية بغير سياقها لم نفهم معناها الصحيح، لكن لو وضعنا الآية في سياقها، «خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ (٤٧) ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ (٤٨) ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ» [الدخان: ٤٧ - ٤٩].

فهمنا أن المقصود هو العكس: أي الذليل الحقير، لأن سياق الكلام عن الكافر وجزائه.

٢- في قول الله تعالى: «لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ» [المائدة: ٨٢].

فلو أخذنا هذه الآية فقط بغير سياقها، لفهمناها فهمًا غير صحيح، لأن الله تعالى بيَّن أن أقرب الناس مودة للذين آمنوا هم النصارى، وذلك لأسباب ذكر بعضها في هذه الآية: وهي أن منهم قسيسين ورهبانًا: أي علماء متزهدين، وعبادًا في الصوامع متعبدين.

ثم ذكر بقية الأسباب التي تبين لنا الفهم الصحيح لهذا النص في الآيات التالية، فقال تعالى: «وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ» [المائدة: ٨٣].

وأنهم لما سمعوا القرآن رقَّت له قلوبهم وفاضت أعينهم بالدمع، فآمنوا بما أنزل الله على نبيه ﷺ، ودعوا ربهم أن يكتبهم مع الشاهدين، وهم أمة محمد ﷺ، كما قال تعالى: «وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا» [البقرة: ١٤٣].

فأخذ النص بدون سياقه أدى إلى الفهم غير الصحيح.

٣- في قول الله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» [المائدة: ١٠٥].

لو أخذنا قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ...» دون سياقها، لأدى هذا إلى فهم خاطئ تمامًا، ولقد احتج بعضهم بهذه الآية احتجاجًا خاطئًا على أنه لا شأن له بالآخرين الضالين، وهذا ليس بصواب على إطلاقه، بل له قيود، ففي الآية السابقة قال تعالى عن الكافرين: «وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ» [المائدة: ١٠٤]. فهؤلاء دعوا إلى الإيمان بالله تعالى، فصدوا، وأعرضوا، ولم يقبلوا، واكتفوا بما عليه الآباء، ولقد حاول معهم النبي ﷺ كثيرًا، حتى قال الله له: «لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ» [الشعراء: ٣]. وحاول معهم المؤمنون، فأبوا إلا الضلال، فواساهم الله تعالى بأنكم بذلتم ما في الوسع وحاولتم جاهدين ولم يجد ذلك معهم، فالزموا تقوى الله ولا يضركم كفرهم.

إضافة إلى أنه في نفس الآية قيد آخر: «لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ»، وإن من تمام الهدى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأننا أمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى: «كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ».

- فالسياق هي القرائن التي تحيط بالنص، وهذه القرائن تنقسم إلى قسمين:

١- قرائن لفظية، وهذه بدورها تنقسم إلى قسمين: قرائن متصلة، وقرائن منفصلة.

٢- قرائن غير لفظية (حالية)، وهي أيضًا تنقسم إلى قسمين: قرائن مقترنة بالخطاب، قرائن منفصلة عن الخطاب.

- وإن من أهم ما يحقق العمل بالسياق

جمع النصوص الواردة في موضوع واحد والربط بينها، فإن ذلك يؤدي إلى صحة الاستدلال وبالتالي ضبط فقه المسألة إلى حد كبير، فإن الذين أخذوا نصًا وتركوا نصًا أو نصوصًا، حادوا عن الفكر المستقيم، وغاب عنهم الحق، وهناك أقوام لم يراعوا السياق في فهم النص، فاقتصروا على جانب واحد. (النظرة الجزئية للنصوص). فنتج عن ذلك سوء فهم كبير، وبدع لا أول لها ولا آخر، وما بدع الخوارج والمرجئة والباطنية والقدرية والمعتزلة... إلا لأنهم لم يجمعوا النظير إلى النظير، ليفهموا النص حق فهمه.

فالخوارج مثلاً عندما أخذوا بآيات الوعيد وأحاديثه فقط، ضللوا المسلمين وكفروا مرتكب الكبيرة، وعلى نقيضهم كان المرجئة الذين أخذوا بنصوص الوعد (الرجاء) فقط، وحكموا لمن اقتصر على الشهادتين بكامل الإيمان والنجاة من النار وأن إيمانه كإيمان أبي بكر وعمر، وإن لم يعمل خيرًا قط.

أولاً: القرائن اللفظية

قد تكون هذه القرائن في داخل النص، وهذه هي القرائن اللفظية المتصلة، وقد تكون خارج النص، وهذه هي القرائن اللفظية المنفصلة.

١- القرائن اللفظية المتصلة

وهذه تكون في سياق النص نفسه، أو سباقه (أي ما سبقه من نصوص) أو لحاقه (أي ما لحقه من نصوص).

ولهذا أمثلة متعددة في القرآن والسنة.

المثال الأول:

قال الله تعالى: «نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ» [البقرة: ٢٢٣]، فلفظة أنى هنا مُشْكَلة لأن لها استعمالات متعددة، فهي تأتي بمعنى من أين، كما في قوله تعالى: «أَنَّى لَكِ هَذَا» [آل عمران: ٣٧]، أي: من أين لك هذا ؟ وبمعنى كيف، كما في قوله تعالى: «أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ» [مريم: ٢٠]، أي كيف يكون لي غلام.

فهل المعنى في الآية: فأتوا نساءكم أين ما شئتم، أو ائتوا نساءكم كيفما شئتم، فالذي بيَّن أن أنى هنا بمعنى كيف هو السياق: كلمة حرثكم، فشبه النساء بالحرث (الزرع) الذي يلقى فيه البذر من أجل انتظار المحصول، وكذلك المرأة، فإن إتيانها من أجل النسل، والنسل هذا لا يأتي إلا من موضع واحد، وهو موضع الولد.

فالسياق هنا هو الذي كشف لنا أن «أنى» هنا بمعنى كيف: قاعدة أم مضطجعة أو على جنبها أم من أمامها أو خلفها، المهم في موضع واحد، هو موضع الحرث (القبل).

فائدة: الآية فيها صورتان بلاغيتان:

الأولى: التشبيه البليغ: إذ شبه النساء بالحرث، لما بين ما يلقى في أرحامهن من النطف، وبين البذور من المشابهة، ووجه الشبه أن كلاً منهما مادة ما يحصل منه.

الثانية: الكناية: فقد كنَّى بإتيان الحرث في آية كيفية عن إتيان المرأة في الكيفية التي يشاؤها المرء من غير حظر ولا حرج ما دام المأتي واحدًا، وهو موضع الحرث. (إعراب القرآن للدرويش).

(لاحظ أننا لم نضم الحديث أو الأحاديث الواردة حول الآية، لأن هذا من شأن القرائن المنفصلة وليس المتصلة).

المثال الثاني:

في قوله تعالى: «هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا» [الإنسان: ١]. فإن «هل» مُشْكَلة، فهي تأتي على معانٍ متعددة، تأتي بمعنى الاستفهام، كما في قوله تعالى: «فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا» [الأعراف: ٤٤].

وتأتي بمعنى الأمر، كقوله تعالى: «فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ»، وتأتي بمعنى «ما» في الجَحْد والنفي، كقوله تعالى: «هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ» [الرحمن: ٦٠]، وقوله تعالى: «مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ»، إن «هل» في سورة الإنسان ليست على معنى من المعاني الثلاثة السابقة، بل في الإنسان جاءت بمعنى «قد».

والذي يرشح المعنى المقصود من هذه المعاني المذكورة، هو السياق، فالله تعالى في سورة الإنسان يذكر حال الإنسان، بدايته ونهايته وما بين البداية والنهاية.

فذكر تعالى أنه قد أتى على الإنسان زمان طويل، وهو الذي قبل وجوده، وهو معدوم، والآية التالية توضح المعنى السابق، قال تعالى: «إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا» [الإنسان: ٢]، فبعد أن كان معدومًا وأراد خلقه، خلق آدم عليه السلام من

طين، ثم جعل نسله من نطفة أمشاج، أي ماء مهين مستقذر.

- بينما السياق في سورة الأعراف يبين أن المقصود بالاستفهام بـ «هل» حقيقة الاستفهام، إذ نادى أصحاب الجنة أصحاب النار، وسألوهم، كما قال تعالى: «وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ» [الأعراف: ٤٤]، فأجاب أصحاب النار على سؤال أصحاب الجنة: «نعم».

وفي سياق سورة الرحمن: «هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ» [الرحمن: ٦٠]، فهل هنا بمعنى «ما» لأنها جاءت في سياق الجحد، فيكون المعنى، كما قال ابن عباس. (تفسير القرطبي): ما جزاء من قال لا إله إلا الله وعمل بما جاء به محمد ﷺ إلا الجنة.

وكما في تفسير ابن كثير: لا لمن أحسن العمل في الدنيا إلا الإحسان إليه في الآخرة، كما قال تعالى: «لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ». [تفسير القرطبي، تفسير ابن كثير، تفسير السعدي، إعراب القرآن الكريم: للدرويش].

وفي سياق سورة المائدة: «إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاَةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ» [المائدة: ٩١]. فهل هنا حرف استفهام معناه الأمر من الله تعالى بالانتهاء عن الخمر والميسر.

المثال الثالث

في قوله تعالى: «وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ وَلاَ أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلاَ أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ» [يونس: ٦١].

نجد في النص «إلاَّ» وهي مشكلة ولا يوضح معناها إلاَّ السياق، فـ «إلاَّ» أداة استثناء، والأصل في الاستثناء أن يكون المستثنى بعض المستثنى منه، ويسمى بالاستثناء المتصل.

فلو قلنا: إن الاستثناء في الآية متصلاً لكان المعنى غير صحيح، لأن المعنى سيكون أنه لا يعزب عن ربك من مثقال ذرة... إلا في كتاب فيعزب، وهذا معنى فاسد.

فالاستثناء في الآية هنا ليس بمتصل لأن المعنى لا يستقيم، وإنما هو استثناء منقطع وهو الذي لا يكون المستثنى بعض المستثنى منه، فتكون إلا بمعنى «لكن»، فيكون المعنى: وما يعزب عن ربك من شيء ولكن جميع الأشياء في كتاب مبين، فيستقيم المعنى، فالذي أدى إلى عدولنا عن الاستثناء المتصل (أصل الاستثناء) إلى الاستثناء المنقطع، هو السياق.

٢- القرائن اللفظية المنفصلة:

وهي القرائن التي تكون في نص آخر أو نصوص أخرى مستقلة عن النص الذي يراد فهم معناه وبيانه، فقد لا يتضح معنى النص وما فيه من دلالات إلاَّ بأن يضم إليه النصوص الأخرى الواردة في ذات الموضوع.

يقول الشاطبي: فشأن الراسخين (في العلم) تصور الشريعة، صورة واحدة يخدم بعضها بعضاً، كأعضاء الإنسان إذا صورت صورة متحدة.

وشأن متبعي المتشابهات أخذ دليل ما - أي دليل كان - عفواً، وأخذاً أولياً، وإن كان ثمَّ ما يعارضه من كلي أو جزئي، فكأن العضو الواحد لا يعطي في مفهوم أحكام الشريعة حكماً حقيقياً، فمتبعه متبع متشابه، ولا يتبعه إلا من في قلبه زيغ، كما شهد الله به: «وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً» [النساء: ١٢٢].

أمثلة على القرائن اللفظية المنفصلة:

المثال الأول: في قوله تعالى: «الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ» [الأنعام: ٨٢].

لما نزلت هذه الآية شقَّت على الصحابة رضي الله عنهم، كما في البخاري.

عن عبد الله رضي الله عنه قال: لما نزلت: «الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ» [الأنعام: ٨٢]، قلنا: يا رسول الله، أينا لا يظلم نفسه ؟ قال: ليس كما تقولون، لم يلبسوا إيمانهم بظلم بشرك، أو لم تسمعوا إلى قول لقمان لابنه: «يَا بُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ» [لقمان: ١٣].

فالنبي ﷺ استخدم السياق - القرائن اللفظية المنفصلة - بأن بيَّن للصحابة رضي الله عنهم، وقد التبس عليهم معنى الظلم، أن الظلم في الآية ظلم خاص وضحته وحددته الآية الأخرى من سورة لقمان.

المثال الثاني: قوله تعالى: «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ

والدم ولحْمُ الْخنْزِير...» [المائدة: ٣].

فالسياق للنص بمفرده يشير إلى تحريم كل أنواع الميتة والدم، لكن لو ضممنا إليه حديث النبي ﷺ: «أحلت لنا ميتتان ودمان، أما الميتتان فالحوت والجراد، وأما الدمان فالكبد والطحال». (رواه أحمد وابن ماجه، وهو في السلسلة الصحيحة للألباني).

المثال الثالث: إن الله تعالى بيَّن لنا المحرمات من النساء في سورة النساء آية ٢٣، ٢٤، ثم قال سبحانه وتعالى: «وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ» [النساء: ٢٤].

لكن النبي ﷺ أضاف محرمات أخرى ليست في النص، فقال ﷺ: يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب. [متفق عليه].

وبيّن أيضًا أنه لا يجوز أن يُجمع بين المرأة وعمتها أو بين المرأة وخالتها، فلو أننا لم نضم النصوص الواردة في المسألة إلى بعضها- القرائن المنفصلة - لأدى ذلك إلى استحلالنا المحرمات.

المثال الرابع: عن الشرب قائمًا: فإن النبي ﷺ - كما في حديث أنس رضي الله عنه - نهى أن يشرب الرجل قائمًا - كما في صحيح مسلم - وكذلك في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه وفيه أن النبي ﷺ زجر عن الشرب قائمًا. والحديث في صحيح مسلم.

وأحاديث أخرى وردت في النهي عن الشرب قائمًا، ثم لا يضم إليها أحاديث الجواز - كما بالبخاري - عن النزّال بن سبرة يحدث عن علي رضي الله عنه أنه صلى الظهر، ثم قعد في حوائج الناس في رحبة الكوفة حتى حضرت صلاة العصر، ثم أُتي بماء فشرب وغسل وجهه ويديه - وذكر رأسه ورجليه - ثم قام فشرب فضله وهو قائم، ثم قال: إنا ناسًا يكرهون الشرب قائمًا، وإن النبي ﷺ صنع مثل ما صنعت.

وكذلك حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: شرب النبي ﷺ قائمًا من زمزم. (صحيح البخاري).

فإذا لم يضم هذه الأحاديث بعضها إلى بعض، فإنه لن يفقه المسألة على النحو السليم، وقد أورد الحافظ ابن حجر مسالك العلماء في الجمع بين هذه الأحاديث، وهي: المسلك الأول: ترجيح أحاديث الجواز على أحاديث النهي، وقالوا: لأنها أثبت.

المسلك الثاني: دعوى النسخ، فقالوا: إن أحاديث النهي - على تقدير ثبوتها - منسوخة بأحاديث الجواز بقرينة عمل الخلفاء الراشدين ومعظم الصحابة والتابعين بالجواز.

المسلك الثالث: الجمع بين أحاديث النهي وأحاديث الجواز بالتأويل، فقالوا: المراد بالقيام هنا المشي، وقالوا: إن أحاديث النهي محمولة على من لم يسم عند شربه.

المسلك الرابع: هو مسلك الجمع بين النهي والجواز، فحملوا أحاديث النهي على كراهة التنزيه، وأحاديث الجواز على بيانه.

واختار ابن حجر المسلك الأخير - الجمع - وقال: هذا أحسن المسالك وأسلمها وأبعدها من الاعتراض، وقال الأثرم بذلك: إن ثبتت الكراهة حملت على الإرشاد والتأديب لا على التحريم، وبذلك جزم الطبري وأيده.

ولقد ذهب المازري إلى أن الجمهور على جواز الشرب قائمًا، وقال: إن الأمر في حديث أبي هريرة لمن نسي وشرب قائمًا أن يستقيء، أنه لا خلاف بين أهل العلم في أنه ليس على أحد أن يستقيء. (فتح الباري بتصرف واختصار كبير).

- وخلص الإمام النووي في شرحه على صحيح مسلم إلى أن النهي محمول على كراهة التنزيه، وأن شربه ﷺ قائمًا لبيان الجواز، واستبعد النسخ، وكذلك استبعد تضعيف أحاديث النهي.

- وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا نأكل على عهد رسول الله ﷺ ونحن نمشي ونشرب ونحن قيام. (صحيح الترمذي).

وفي الموطأ: أن عمر وعثمان وعليًا رضي الله عنهم كانوا يشربون قيامًا.

قلت: والنبي ﷺ لا يأتي بمكروه، وقد ثبت أنه شرب قائمًا حتى أخريات حياته في حجة الوداع، لكن النبي ﷺ قد يفعل خلاف الأولى لبيان الجواز، والله أعلم.

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

كذب جمال البنا وتابعه متولي إبراهيم في الطعن على حديث أمرت أن أقاتل الناس

إعداد/ محمـود المراكبـي

افسحت إحدى الجرائد للأستاذ / جمال البنا مقالا يوم السبت الموافق ٢٢ / ١١ / ٢٠٠٨، ولم تفسح المجال للرد عليه، فآثرنا أن ننشره في حصن السنة ومعقلها الأخير مجلة التوحيد التي نسأل الله أن يديمها والعاملين عليها لنصرة النبي ﷺ، والأستاذ البنا شخصية يدور حولها كثير من الجدل بين أوساط المسلمين لأنه يحوم حول الشبهات ولا يحدثنا إلا بالغريب منها بل والشاذ من آراء الفقهاء، فتارة يحل التدخين في نهار رمضان، ويحل قبلة المرأة الأجنبية، وتارة يرفض الحديث الصحيح الذي أخذته الأمة بالقبول طوال تاريخها، لأنه بعقله القاصر لا يوافق القرآن، واليوم يفاجئنا بمقالة في علم الحديث ويستعين بمجهول في الأبحاث ويفرد المقالة للأستاذ متولي إبراهيم الذي خدم السنة بالكمبيوتر، ومع أنني أعمل من عشرين سنة في مجال تطويع الحاسب حققت خلالها برنامج جوامع الكلم الذي يضم ١٤٠٠ كتاب ومخطوط من مصادر الحديث وهو يعد أضخم خدمة للسنة من أربعة عشر قرنا من الزمان، ويعد درعا لحماية السنة من الأقزام الذين يهاجمونها، وسنثبت بالدليل الدامغ أن الأستاذ البنا وتابعه متولي لم يحققا إلا الخيبة والخسران.

فحديث "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله"، يريد الأستاذ البنا أن يمحوه من الوجود لأنه يصادم عقولهم المريضة بدعوى أنه يخالف حرية الاعتقاد، والحديث لو فهماه كما دلت عليه ألفاظ الحديث، لما لفقا التحقيق الذي نشر، وسنشرح الحديث ولكن بعد أن نبين الكذب في مقالة البنا.

ذكر الأستاذ البنا ومتولي أن عدد طرق رواية الحديث ٢٣٤ وهو خطأ فادح فعدد طرقه وفق نتائج برنامج جوامع الكلم هو ٦٣١ طريقا، منها ١٥٤ طريقا صحيحا وفق أصول وقواعد المحدثين، و٢٥٨ طريقا حسنا، ومنها ١٧٤ طريقا ضعيفا، و٤١ طريقا شديد الضعف، ومنها ٦ طرق فيها وضاع أو متهم بالوضع، والحديث لو صح له طريق واحد يعد صحيحا فما بالك ونحن أمام ١٥٤ طريقا و٢٥٨ طريقا حسنا حكمه حكم الصحيح ولا ريب، فنحن لدينا ٤١٢ طريقا ما بين صحيح وحسن، هذه هي الزلة الأولى، والثانية أنه أخفى عدد الصحابة الذين رووا الحديث، وهو ٢٧ صحابيا أي حديث متواتر، والتواتر هو استحالة اتفاق رواته على الكذب، ويكفي أن الإمام البخاري رواه ٦ مرات في صحيحه، وفي كل المواضع تصريح بالسماع، في أربعة أحاديث منها ابن شهاب الزهري الذي

يطعن فيه البنا ومتولي، وهذا يثبت الكذب المتعمد، فهو يقول ولم يصرح بالسماع، والزهري يصرح بالسماع من شيخه فيقول في الحديثين الأول والثاني حدثنا، وفي الحديث الثالث والرابع أخبرني، وهما ينطقان بالسماع ولكن «فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور» (الحج: ٤٦)

الحديث الأول: رقم ١٣١٨ ونصه حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ الْحَكَمُ بْنُ نَافِعٍ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبُ بْنُ أَبِي حَمْزَةَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: لَمَّا تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه وَكَفَرَ مَنْ كَفَرَ مِنَ الْعَرَبِ، فَقَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ؟ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، فَمَنْ قَالَهَا فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ، وَنَفْسَهُ إِلاَّ بِحَقِّهِ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ.

الحديث الثاني: رقم ٢٧٤٢ ونصه حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ فَمَنْ، قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي نَفْسَهُ وَمَالَهُ إِلاَّ بِحَقِّهِ وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ.

الحديث الثالث: رقم ٦٤٤٣ ونصه حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ عُقَيْلٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، أَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ، قَالَ: لَمَّا تُوُفِّيَ النَّبِيُّ ﷺ وَاسْتُخْلِفَ أَبُو بَكْرٍ وَكَفَرَ مَنْ كَفَرَ مِنَ الْعَرَبِ، قَالَ عُمَرُ: يَا أَبَا بَكْرٍ كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، فَمَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلاَّ بِحَقِّهِ وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ

الحديث الرابع: رقم ٦٧٧٠ ونصه حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا لَيْثٌ، عَنْ عُقَيْلٍ، عَنْ الزُّهْرِيِّ، أَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِاللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: لَمَّا تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَاسْتُخْلِفَ أَبُو بَكْرٍ بَعْدَهُ وَكَفَرَ مَنْ كَفَرَ مِنَ الْعَرَبِ، قَالَ عُمَرُ لأَبِي بَكْرٍ: كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، فَمَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلاَّ بِحَقِّهِ وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ.

والحديث أيضا رواه الإمام مسلم رواه خمس مرات في صحيحه، والترمذي رواه ٤ مرات وقال في الأربعة المواضع وهذا حديث حسن صحيح، وأبو داود رواه ٤ مرات، والنسائي راوه في المجتبى ٢١ مرة، وفي السنن الكبرى ٢٠ مرة، وابن ماجة في ٥ مرات، والدارمي مرة، وأحمد بن حنبل في مسنده في ٢٠ موضعا.

والأستاذ البنا يعرفنا بتابعه متولي إبراهيم بقوله: باحث كفء ومجهول، أما كونه كفئا فقد أدركنا ضعف بحثه ومخالفته لمنهج علماء الحديث، والأستاذ البنا حكم عليه بالضعف قبل أن يقدمه حسب منهج المحدثين فالرواي المجهول يضعف الإسناد لجهالة الراوي، ومع أني أعرف العاملين في مجال خدمة السنة بالحاسب الآلي وكلهم تلاميذي ولا فخر، فلم أسمع يوما طوال العشرين سنة الماضية عن باحث اسمه متولي إبراهيم، وفي أي مؤسسة يعمل، وهل اطلع العلماء على عمله، وأقروا بسلامة منهجه، اعتقد أن الأستاذ البنا قد ضيع الباحث ووضعه في خانة من يحب الغرائب، وأخرجه من حيز العدالة، إنه يقول إن تحفة الأشراف و إتحاف المهرة لا يشفيان غليله.

تبقى نقطة لم يستوعبها البنا وهي قضية التدليس التي راح ينعت الحفاظ بها

ويرفض حديثهم، فالتدليس نوعان تدليس شيوخ وتدليس تسوية، والنوع الأول لا خوف منه إذا عنعن الراوي عن شيخه، وصرح بالسماع في إحدى طرق الرواية فتنتفي شبهة تدليسه في هذا الحديث، ورواية البخاري لأي مدلس يجبر تدليسه لأنه لا يروي عن مدلسين لأنه يتأكد من سماعه للحديث.

وقضية رفض أحاديث الراوي لأنه مدلس قضية خطيرة، فابن شهاب الزهري يقول عنه علماء الحديث.

قال ابن حجر العسقلاني في التقريب: الفقيه الحافظ متفق على جلالته وإتقانه.

وقال ابن منجويه : كان من أحفظ أهل زمانه وأحسنهم سياقا لمتون الأخبار.

وقال الذهبي أحد الأئمة الأعلام، وعالم أهل الحجاز والشام.

وقال الليث بن سعد المصري ما رأيت عالما قط أجمع من ابن شهاب ولا أكثر علما منه.

وقال أبو بكر الهذلي جالسنا الحسن وابن سيرين فما رأينا أحدا أعلم من الزهري.

وقال أبو حاتم الرازي: الزهرى أحب إلي من الأعمش يحتج بحديثه واثبت أصحاب أنس الزهري، وسئل عن الزهرى عندك فقيه فقال نعم فقيه وجعل يفخم امره.

وقال أبو حاتم : ذكره ابن حبان في الثقات وقال: رأى عشرة من أصحاب رسول الله ﷺ وكان من أحفظ أهل زمانه وأحسنهم سياقا لمتون الأخبار وكان فقيها فاضلا روى عنه الناس، وقال أبو داود السجستاني عن الزهري: أحسن الناس حديثا.

وقال أيوب بن أبي تميمة السختياني: ما رأيت أحدا أعلم من الزهري.

وقال سفيان بن عيينة : لم يكن في الناس أحد أعلم بسنة منه.

وقال عمرو بن دينار الأثرم: ما رأيت أنص للحديث منه. وقال قتادة بن دعامة السدوسي، ما بقى على ظهرها إلا اثنان الزهرى وآخر.

وقال الإمام مالك بن أنس: بقى ابن شهاب وماله في الدنيا نظير، ومرة: أول من أسند الحديث ابن شهاب.

وقال محمد بن سعد كاتب الواقدي: الزهري ثقة كثير الحديث والعلم فقيه جامع.

أليس من غير المعقول أن يكون هذا رأي هؤلاء الأعلام في الإمام الزهري ويتجرأ البنا ومتولي كذبا وزروا وبهتانا على أعلامنا شهوة ورغبة في الظهور وإعلانا للغرائب.

أما الحديث الذي نتحاور حوله فهو أمرت أن أقاتل الناس وليس أقتل الناس، فقتل الناس لم يرد عن النبي ﷺ ويخالف جميع الشرائع، ولا يمكن أن يكون مراد النبي ﷺ من الحديث، وإنما نص الحديث ورد بلفظة أقاتل الناس، وشتان بين المعنين، ففعل أقاتل معناه أن طرفا يقاتلك عن دينك ليثنيك عنه فمرحبا بالقتال عندئذ، والزود عن المعتقد أسمى أنواع المقاتلة، فالبنا لا يفهم اللغة ولا يعرف الحديث ويحلو له أن يصف نفسه بالمفكر الإسلامي، فالرجل ليس مفكرا وليس إسلاميا فبضاعته مزجاة، فالرجل يشابه المستشرقين الذين يحقدون على الإسلام، ولا ينصفونه. فأصبح وجهه من الوجوه المكروهة بين الإسلاميين.

أما أن للبنا أن يتوب إلى الله، ويستعد للقائه، ويكف عن التفكير الذي يسميه وحده بالإسلامي، وإذا تركناه لتفكيره فسينقضي أجله ويهلك كما هلك من قال الله فيهم «وكنا نخوض مع الخائضين» (المدثر: ٤٥).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عقيدة

أهل السنة في الصحابة

إعداد/ صلاح نجيب الدق

الحمد لله الذي لم يتخذ ولدًا، ولم يكن له شريك في الملك، وخلق كل شيء فقدره تقديرًا، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

قال تعالى: «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ» [الحجر: ٩].

لقد جعل الله تعالى لحفظ الإسلام أسبابًا، ومن أعظم هذه الأسباب أنه اختار أصحاب نبيه ﷺ فحفظوا القرآن والسنة، وصدقوا ما عاهدوا الله عليه، وقاموا بواجبهم كاملاً نحو دين الله تعالى، فبذلوا في سبيل الله كل شيء، فكانوا أهلاً لتزكية الله تبارك وتعالى إياهم في القرآن وعلى لسان نبيه ﷺ، ولذا كان من حقهم علينا أن نظهر فضائلهم، وندافع عنهم بكل ما نملك ضد أصحاب العقائد الفاسدة، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

من هو الصحابي؟

الصحابي هو كل من لقي النبي ﷺ مؤمنًا به ومات على الإسلام، فيدخل في ذلك كل من لقي النبي ﷺ وطالت مجالسته له أو قصرت، ومن روى عن النبي ﷺ ومن لم يرو، ومن غزا معه أو من لم يغز، ومن رآه رؤية ولو لم يجالسه، ومن لم يره لعارض كالعمى ويخرج بقيد الإيمان من لقيه كافرًا ولو أسلم بعد ذلك إذا لم يجتمع به مرة أخرى. [الإصابة ج١ ص١٠ لابن حجر العسقلاني].

عدد الصحابة:

روى ابن كثير عن أبي زرعة الرازي قوله: - توفي النبي ﷺ ومن رآه وسمع منه زيادة على مائة ألف إنسان من رجل وامرأة، كلهم قد روى عنه سماعًا أو رؤية. [البداية والنهاية جـ٥ ص٣٠٩].

عدالة الصحابة:

اتفق أهل السنة والجماعة على عدالة جميع أصحاب النبي ﷺ، وعدالةُ الصحابة ثابتةٌ معلومةٌ بتعديل الله لهم وإخباره عن طهارتهم واختياره لهم في كتابه العزيز، وكذلك زكاهم النبي ﷺ وبيَّن فضلهم على من بعدهم، إن كثرة الآيات الكريمة والأحاديث الصحيحة تقتضي القطع بتعديلهم، ولا يحتاج أحد منهم مع تعديل الله له إلى تعديل أحد من الخلق.

روى أحمد عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: إن الله نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه، فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه، يقاتلون على دينه، فما رأى المسلمون حسنًا فهو عند الله حسن، وما رأوا سيئًا فهو عند الله سيئ. [حديث حسن: مسند أحمد جـ٦ ص٨٤].

ثبوت عدالة الصحابة في القرآن الكريم

يقول الله تعالى: «وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُولَـئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ» [الأنفال: ٧٤].

وقال سبحانه: «وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» [التوبة: ١٠٠].

وقال جل شأنه: «وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ» [الحجرات: ٧].

وقال تعالى: «لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ» [الحديد: ١٠].

ثبوت عدالة الصحابة في السنة

لقد ثبتت عدالة الصحابة في كثير من أحاديث نبينا محمد ﷺ، وسوف نذكر بعضًا منها:

١- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم». [البخاري ح٣٦٥١، ومسلم حديث ٢٥٣٢].

٢- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي

ﷺ قال: «لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه». [البخاري ح٣٦٧٣، ومسلم حديث ٢٥٤١].

٣- عن البراء بن عازب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق، فمن أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله». [البخاري ح٣٧٨٣].

٤- عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: جاءنا رسول الله ﷺ ونحن نحفر الخندق وننقل التراب على أكتافنا، فقال رسول الله ﷺ: «لا عيش إلا عيش الآخرة فاغفر للمهاجرين والأنصار». [البخاري ح٣٧٩٧، ومسلم حديث ١٨٠٤].

عقيدة أهل السنة في الصحابة:

أخي الكريم: اعلم أن عقيدتنا هي عقيدة أهل السنة والجماعة، ومن أصول عقيدة أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم في أصحاب النبي ﷺ، ونحن- بحمد الله تعالى- نقبل ما جاء به كتاب الله تعالى وسنة رسوله وإجماع العلماء من فضائل الصحابة ومراتبهم.

فنحن نقدم من أنفق من قبل الفتح، وهو صلح الحديبية، وقاتل في سبيل الله على من أنفق من بعد وقاتل، وكلاً وعد الله الحسنى.

ونقدم المهاجرين على الأنصار، ونؤمن بأن الله تعالى قال لأهل بدر- وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر-: «اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»(١)، ونؤمن بأنه لن يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة، وأن الله رضي عنهم جميعًا، وكانوا أكثر من ألف وأربعمائة.

روى مسلم من حديث جابر أن النبي ﷺ قال: «لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة». [مسلم حديث ٢٤٩٦].

ونشهد بالجنة لمن شهد لهم رسول الله ﷺ، كالعشرة المبشرين بالجنة، وغيرهم ممن عينهم رسول الله ﷺ. ونؤمن بأن خير هذه الأمة بعد رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان، ثم علي بن أبي طالب، رضي الله عنهم جميعًا.

التوقف عما شجر بين الصحابة

أخي الكريم: ومن عقيدتنا أيضًا؛ وجوب السكوت وعدم الخوض في الفتن التي جرت بين الصحابة، رضوان الله عليهم جميعًا، وذلك بعد مقتل عثمان بن عفان، ونعتقد أن فتنة الجمل قد تمت من غير اختيار من علي بن أبي طالب، ولا من طلحة بن عبيد الله، ولا من الزبير بن العوام، رضي الله عنهم، وأن عائشة رضي الله عنها خرجت للإصلاح بين المسلمين. مع العلم بأنهم جميعًا من الذين بشرهم رسول الله ﷺ بالجنة. فيما أخرجه الترمذي من حديث عبدالرحمن بن عوف. [صحيح الترمذي للألباني حديث ٢٩٤٦].

ومن عقيدتنا: أننا نحب كل أصحاب النبي ﷺ، ولا نُفْرِطُ في حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان.

روى البخاري من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ: متى الساعة؟ قال: «وما أعددت لها؟» قال: لا شيء، إلا أني أحب الله ورسوله. قال: «أنت مع من أحببت». قال أنس: فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي ﷺ: «أنت مع من أحببت». قال أنس: فأنا أحب النبي وأبا بكر وعمر، رضي الله عنهما، وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم، وإن لم أعمل بمثل أعمالهم. [البخاري حديث ٣٦٨٨].

ونسأل الله تعالى أن يجمعنا بهم في الفردوس الأعلى من الجنة بحبنا لهم، وإن لم نعمل بمثل أعمالهم.

ومن عقيدتنا أيضًا؛ أن نتوقف عما شجر بين علي بن أبي طالب، ومعاوية بن أبي سفيان، رضي الله عنهما، مع اعتقادنا أن الحق كان مع علي بن أبي طالب وأصحابه، وأن معاوية كان متأولاً في قتاله لعلي بن أبي طالب.

فضائل معاوية بن أبي سفيان

وردت أحاديث في فضل معاوية بن أبي سفيان نذكر منها ما يلي:

روى مسلم من حديث ابن عباس أن النبي ﷺ قال له: «اذهب فادع لي معاوية. قال: فجئت فقلت: هو يأكل. فقال: لا أشبع الله بطنه». [مسلم حديث ٢٦٠٤].

قال أهل العلم: هذا الحديث من مناقب معاوية بن أبي سفيان، وذلك لما أخرجه مسلم عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: اللهم إني أتخذ عندك عهدًا لن تخلفنيه فإنما أنا بشر فأي المؤمنين آذيته شتمته لعنته جلدته فاجعلها له صلاة وزكاة وقربة تقربه بها إليك يوم القيامة. [مسلم حديث ٢٦٠١].

روى الترمذي عن عبد الرحمن بن أبي عميرة وكان من أصحاب رسول الله ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال لمعاوية: اللهم اجعله هاديًا مهديًا واهد به. [صحيح الترمذي ح٣٠١٨].

ونعتقد أن القتال الذي حصل بين الصحابة رضوان الله عليهم لم يكن على الإمامة، فإن أهل الجمل وصفين لم يقاتلوا على نصب إمام غير علي بن أبي طالب، ولا كان معاوية يقول إنه الإمام دون علي، وكذلك طلحة والزبير.

أسباب الفتنة بين علي ومعاوية

اعلم أخي الكريم أن الفتنة قد حدثت عندما طلب معاوية ومن معه من علي بن أبي طالب تسليم قتلة عثمان بن عفان إليهم، وذلك لكون معاوية ابن عمه، فامتنع علي ظنًا منه أن تسليم قتلة عثمان إليهم على الفور، مع كثرة عشائرهم واختلاطهم بعسكر علي، يؤدي إلى اضطراب في أمر الخلافة، التي بها انتظام

كلمة أهل الإسلام خاصة وهي في بدايتها، فرأى علي بن أبي طالب أن تأخير تسليم قتلة عثمان رضي الله عنه أصوب إلى أن يرسخ قدمه في الخلافة، ويتحقق التمكن من الأمور فيها، ويتم اتفاق كلمة المسلمين ثم بعد ذلك يلتقطهم واحداً فواحداً ويسلمهم إليهم، ويدل على ذلك أن بعض قتلة عثمان رضي الله عنه عزم على الخروج على علي بن أبي طالب ومقاتلته لما نادى يوم الجمل بأن يخرج عنه قتلة عثمان رضي الله عنه. [الصواعق المحرقة لابن حجر الهيتمي ص٣٢٥].

واعلم أخي الكريم أيضاً: أن أكثر الصحابة قد اعتزلوا القتال واتبعوا النصوص الثابتة عن النبي ﷺ في قتال الفتنة.

قال ابن كثير: روى الإمام أحمد عن إسماعيل بن علية عن أيوب عن محمد بن سيرين قال: هاجت الفتنة وأصحاب رسول الله ﷺ عشرات الألوف فلم يحضرها منهم مائة، بل لم يبلغوا ثلاثين. [البداية والنهاية جـ٧ ص٢٦٤].

ومن عقيدتنا أن نستغفر للقتلى من كلا الفريقين ونترحم عليهم ونحفظ فضائلهم ونعترف لهم بسبقهم وننشر مناقبهم عملاً بقول الله تعالى: «وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ» [الحشر: ١٠].

منزلة الصحابة عند السلف الصالح

نذكر بعضاً من أقوال سلفنا الصالح في أصحاب النبي ﷺ:

١- روى اللالكائي بسنده عن البيهقي قال: سب عبيد الله بن عمر بن الخطاب المقداد بن الأسود، فهم عمر رضي الله عنه بقطع لسانه، فكلمه فيه أصحاب محمد ﷺ، فقال: ذروني أقطع لسان ابني حتى لا يجترئ أحد بعده بسب أحد من أصحاب محمد ﷺ أبداً. [شرح أصول اعتقاد أهل السنة ج٤ رقم ٢٣٧٧].

٢- قال عمار بن ياسر: من فضل على أبي بكر وعمر أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فقد أزرى (عاب وأنكر) على اثني عشر ألفاً من أصحاب رسول الله ﷺ. [شرح اعتقاد أهل السنة ج٧ ص١٤٤٩].

٣- قال عبد الله بن عباس: لا تسبوا أصحاب محمد ﷺ فإن الله عز وجل قد أمرنا بالاستغفار لهم وهو يعلم أنهم سيقتتلون. (شرح اعتقاد أهل السنة جـ٤ رقم ٢٣٢٩).

٤- قال جعفر بن محمد: برئ الله ممن تبرأ من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما. (شرح اعتقاد أهل السنة ج٤ رقم ٢٣٩٣).

٥- قال عبد الله بن المبارك: السيف الذي وقع بين الصحابة فتنة، ولا أقول لأحد منهم هو مفتون. (سير أعلام النبلاء جـ٨ ص٤٠٥).

٦- قال أبو نعيم: الواجب على المسلمين في أصحاب رسول الله ﷺ إظهار ما مدحهم الله تعالى به وشكرهم عليه من جميل أفعالهم وجميل سوابقهم وأن يغضوا عما كان منهم في حال الغضب، والإغفال عما فرط منهم عند استذلال الشيطان إياهم، ونأخذ في ذكرهم بما أخبر الله تعالى به. فقال تعالى: «وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ» [الحشر: ١٠]. فإن الهفوة والزلل والغضب والحدة والإفراط لا يخلو منه أحد وهو لهم مغفور. [شرح اعتقاد أهل السنة ج٧ ص١٤٧٧].

٧- قال الإمام أحمد بن حنبل: إذا رأيت أحداً يذكر أصحاب رسول الله ﷺ بسوء فاتهمه على الإسلام. [اعتقاد أهل السنة جـ٤ رقم ٢٣٥٨].

قيل لأحمد بن حنبل: يا أبا عبدالله، ما تقول فيما كان من علي ومعاوية، رحمهما الله؟ فقال أبو عبدالله: ما أقول فيهما إلا الحسنى، رحمهم الله أجمعين. [السنة للخلال ص٤٦٠ رقم ٧١٣].

قال الخلال: قال أبو بكر المروذي: قلت لأبي عبد الله: أيما أفضل؛ معاوية، أو عمر بن عبدالعزيز؟ فقال: معاوية أفضل، لسنا نقيس بأصحاب النبي ﷺ أحداً، قال النبي ﷺ: «خير الناس قرني الـذي بعثت فيهم». [السنة للخلال ص٤٣٤، رقم ٦٦٠].

٨- قال أبو زرعة الرازي- رحمه الله-: إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ، فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول ﷺ حق، والقرآن حق، وما جاء به حق، وإنما أدى إلينا ذلك كله الصحابة، وهؤلاء يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة والجرح بهم أولى وهم زنادقة. [الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي ص٤٩].

٩- القاضي عياض: أما الحروب التي جرت فكانت لكل طائفة شبهة اعتقدت تصويب نفسها بسببها، وكلهم عدول، رضي الله عنهم، ومتأولون في حروبهم وغيرها، ولم يخرج شيء من ذلك أحداً منهم عن العدالة ؛ لأنهم مجتهدون، اختلفوا في مسائل من محل الاجتهاد كما يختلف المجتهدون بعدهم في مسائل من الدماء وغيرها، ولا يلزم من ذلك نقص أحد منهم. [معارج القبول ج٢ ص٥٠٥، ٥٠٦].

١٠- قال ابن عبدالبر في الحديث عن سنن النبي ﷺ: ومن أوكد آلات السنن المعينة عليها والمؤدية إلى حفظها، معرفة الذين نقلوها عن نبيهم رسول الله ﷺ إلى الناس كافة وحفظوها عليه وبلغوها عنه، وهم صحابته الذين وعوها وأدوها محتسبين حتى كمل بما نقلوه الدين، وثبتت بهم حجة الله عز وجل على المسلمين، فهم خير القرون وخير أمة أخرجت. ثبتت عدالة جميعهم بثناء الله عز وجل عليهم وثناء رسوله ﷺ، ولا أعدل ممن ارتضاه الله لصحبة نبيه ﷺ ونصرته ولا تزكية أفضل من ذلك ولا تعديل أكمل منه. [الاستيعاب ص١١٧: ١١٨].

١١- قال ابن حجر: قال أبو محمد بن حزم:

الصحابة كلهم من أهل الجنة قطعًا، قال تعالى: «لاَ يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلاً وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى» [الحديد: ١٠]، وقال تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَى أُوْلَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ» [الأنبياء: ١٠١].

فثبت أن الجميع من أهل الجنة، وأنه لا يدخل أحد منهم النار لأنهم المخاطبون بالآية السابقة. [الإصابة ج١ ص١٩].

١٢- روى مسلم عن أبي بكرة أن النبي ﷺ قال: إذا تواجه المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار. قال: فقلت أو قيل: يا رسول، هذا القاتل، فما بال المقتول؟ قال: إنه قد أراد قتل صاحبه. [مسلم حديث ٢٨٨٨].

قال الإمام النووي عند شرحه لهذا الحديث: اعلم أن الدماء التي جرت بين الصحابة رضي الله عنهم ليست داخلة في هذا الوعيد، ومذهب أهل السنة والجماعة والحق: إحسان الظن بهم، والإمساك عما شجر بينهم، وتأويل قتالهم، وأنهم مجتهدون متأولون، لم يقصدوا معصية ولا محض الدنيا، بل اعتقد كل فريق أنه على الحق، ومخالفه باغ، فوجب عليه قتاله، ليرجع إلى أمر الله، وكان بعضهم مصيبًا، وبعضهم مخطئًا معذورًا في الخطأ، لأنه اجتهاد والمجتهد إذا أخطأ لا إثم عليه، وكان علي رضي الله عنه هو المحق المصيب في تلك الحروب، هذا مذهب أهل السنة، وكانت القضايا مشتبهة حتى إن جماعة من الصحابة تحيروا فيها، فاعتزلوا الطائفتين ولم يقاتلوا ولم يتيقنوا الصواب، ثم تأخروا عن مساعدة أي منهم. [مسلم بشرح النووي ج٩ ص٢٣٩].

١٣- قال ابن تيمية: إن القدح في خير القرون الذين صحبوا الرسول ﷺ قدح في الرسول ﷺ ليقول قائل: رجل سوء كان له أصحاب سوء، ولو كان رجلاً صالحًا لكان أصحابه صالحين، وأيضًا فهؤلاء الذين نقلوا القرآن والإسلام وشرائع النبي ﷺ هم الذين نقلوا فضائل علي وغيره، فالقدح فيهم يوجب أن لا يوثق بما نقلوه من الدين وحينئذ فلا تثبت فضيلة لا لعلي ولا لغيره. [مجموع فتاوى ابن تيمية ج٤ ص٤٢٩].

١٤- قال الذهبي: يعرف فضائل الصحابة رضي الله عنهم من تدبر أحوالهم وسيرهم وآثارهم في حياة رسول الله ﷺ وبعد موته من المسابقة إلى الإيمان والمجاهدة للكفار ونشر الدين وإظهار شعائر الإسلام وإعلاء كلمة الله ورسوله، وتعليم فرائضه وسننه، ولولاهم ما وصل إلينا من الدين أصل ولا فرع، ولا علمنا من الفرائض والسنن سنة ولا فرضًا، ولا علمنا من الأحاديث والأخبار شيئًا، فمن طعن فيهم أو سبهم فقد خرج من الدين ومرق من ملة المسلمين، لأن الطعن لا يكون إلا من اعتقاد مساويهم وإضمار الحقد فيهم وإنكار ما ذكره الله تعالى في كتابه من ثنائه عليهم، وبيان فضائلهم ومناقبهم وحبهم، ولأنهم أرضى الوسائل من المأثور والوسائط من المنقول، والطعن في الوسائط طعن في الأصل والازدراء بالناقل ازدراء بالمنقول، وهذا ظاهر لمن تدبره وسلم من الزندقة والإلحاد في عقيدته.

١٥- قال ابن كثير تعليقًا على قول الله تعالى: «وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» [التوبة: ١٠٠].

أخبر الله العظيم أنه قد رضي عن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، الذين اتبعوهم بإحسان، فيا ويل من أبغضهم أو سبهم، ولا سيما سيد الصحابة بعد الرسول وخيرهم وأفضلهم، أعني الصديق الأكبر والخليفة الأعظم أبا بكر بن أبي قحافة، رضي الله عنه، فإن الطائفة المخذولة من الرافضة يعادون أفضل الصحابة ويبغضونهم ويسبونهم عياذًا بالله من ذلك، وهذا يدل على أن عقولهم معكوسة، وقلوبهم منكوسة، فأين هؤلاء من الإيمان بالقرآن، إذ يسبون من رضي الله عنهم؟ وأما أهل السنة فإنهم يترضون عن من رضي الله عنهم، ويسبون من سبه الله ورسوله، ويوالون من يوالي الله ويعادون من يعادي الله، وهم متبعون لا مبتدعون. [تفسير ابن كثير ٧ / ٢٧٠، ٢٧١].

من أهم أعداء الصحابة؟

يجب على كل مسلم أن يعرف من هم أعداء الصحابة لكي يحذرهم ويتصدى لأقوالهم الباطلة دفاعًا عن أصحاب نبينا ﷺ، لأن الدفاع عن الصحابة إنما هو في حقيقة الأمر دفاع عن القرآن والسنة، وأعداء الصحابة هم الخوارج والشيعة والروافض، وهم الفرقة الضالة.

حكم من سب أصحاب نبينا ﷺ

ينقسم سب الصحابة إلى قسمين، ولكل منهما حكم يخصه كما يلي: القسم الأول: من سب الصحابة سبًا يقدح في عدالتهم بالكفر أو الردة، أو الفسق، فهذا كافر ومرتد عن الإسلام، وذلك لأن السب بهذه الطريقة يعني أن الذين نقلوا القرآن والسنة كفار أو مرتدون أو فساق، وبذلك يقع الشك في القرآن والسنة، لأن الطعن في النقلة طعن في المنقول، وهذا القول تكذيب لعدالتهم والرضا عنهم في القرآن الكريم.

القسم الثاني: من سب الصحابة سبًا لا يقدح في عدالتهم ولا في دينهم (مثل وصف بعضهم بالبخل أو الجبن أو قلة العلم أو عدم الزهد)، فهذا السب حرام يستحق صاحبه التعزير والتأديب. (الصارم المسلول لابن تيمية ص٥٦٧، ٥٨٧).

وختامًا نسأل الله أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

باب الأسرة

الكفاءة في الزواج

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وبعد:

فقد انتهينا في مقالنا السابق من الحديث عن أحكام الزواج وأهم المشكلات التي تواجه الزوجين وطرق العلاج وفي هذا المقال نتحدث عن: (الكفاءة في الزواج).

إعداد/ جمال عبدالرحمن

فالزواج آية من آيات الله عز وجل، ونعمة من نعمه، تزداد هذه النعمة ويظهر أثرها كلما كان التآلف والتوافق والتكافؤ ظاهرًا بين الزوجين، وقد بوب الإمام البخاري في صحيحه: «باب الأكفاء في الدين»، وذكر قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٤].

و«الأكفاء»: جمع كفء، وهو المثل والنظير. «من الماء»: من نطفة. «فجعله» قسمين. «نسبا»: ذوي نسب أي ذكورًا ينسب إليهم. «وصهرا»: ذوات صهر أي إناثًا يصاهر بهن. والإتيان بالآية يفيد أن البشر من منشأ واحد فلا تمايز بينهم من حيث الجنس، وإنما ينبغي أن يكون التمايز من حيث الدين، ولذلك كانت الكفاءة بين الزوجين معتبرة بالدين لا بغيره.

واعتبار الكفاءة في الدين متفق عليه، فلا تحل المسلمة لكافر أصلاً، وقد جزم بأن اعتبار الكفاءة مختص بالدين: مالك، ونُقل عن ابن عمر، وابن مسعود، ومن التابعين عن محمد بن سيرين، وعمر بن عبد العزيز.

واعتبر الكفاءة في النسب الجمهور، ولم يثبت في اعتبار الكفاءة بالنسب حديث، وتوسط الشافعي فقال: ليس نكاح غير الأكفاء حرامًا، فأراد به النكاح، وإنما هو تقصير بالمرأة والأولياء، فإذا رضوا صح ويكون حقًا لهم تركوه، فلو رضوا إلا واحداً فله فسخه. وذكر أن المعنى في اشتراط الولاية في النكاح كيلا تضيع المرأة نفسها في غير كفء. انتهى.

وقد ذكر البخاري في الباب أربعة أحاديث:

الحديث الأول حديث عائشة رضي الله عنها:

١- عن عائشة رضي الله عنها: أن أبا حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، وكان ممن شهد بدرًا مع النبي ﷺ تبنى سالمًا وأنكحه بنت أخيه هند بنت الوليد بن عتبة بن ربيعة، وهو مولى لامرأة من الأنصار، كما تبنى النبي ﷺ زيداً، وكان من تبنى رجلاً في الجاهلية دعاه الناس إليه، وورث من ميراثه، حتى أنزل الله: ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ﴾. فردوا إلى آبائهم، فمن لم يُعلم له أب كان مولى وأخًا في الدين، فجاءت سهلة بنت سهيل بن عمرو القرشي، ثم العامري - وهي امرأة أبي حذيفة - النبي ﷺ، فقالت: يا رسول الله، إنا كنا نرى سالمًا ولداً، وقد أنزل الله فيه ما قد علمت.. فذكر الحديث. صحيح البخاري. وتكملته عند أبي داود: قالت سهلة: فكيف ترى؟ فقال رسول الله ﷺ: أرضعيه، فأرضعته خمس رضعات، فكان بمنزلة ولدها من الرضاعة، فبذلك كانت عائشة تأمر بنات إخوتها

وبنات أخواتها أن يرضعن من أحبت أن يراها ويدخل عليها وإن كان كبيراً خمس رضعات، ثم يدخل عليها، وأبت أم سلمة وسائر أزواج النبي ﷺ أن يدخلن عليهن بتلك الرضاعة أحداً من الناس حتى يرضع في المهد، وقلن لعائشة: والله ما ندري لعلها رخصة من رسول الله ﷺ لسالم دون الناس.

وواضح في هذا الحديث أن أبا حذيفة - وهو من أشراف قريش وسادتها - لم يعتبر كفاءة النسب، حيث زوج مولاه سالماً بنت أخيه الحرة السيدة، لكن سالماً رضي الله عنه كان عاليَ القدر بالقرآن الذي معه، وقد عينه النبي ﷺ إماماً لتعليم القرآن، وتلك أعظم شهادة، قال ﷺ: «خذوا القرآن من أربعة عبد الله بن مسعود، وسالم مولى أبي حذيفة، وزيد بن ثابت،....». [الترمذي والحاكم عن ابن عمر، وصححه الألباني].

وأبو حذيفة اسمه مهشم على المشهور، وقيل: هاشم، وقيل غير ذلك، وهو خال معاوية بن أبي سفيان، كان تبنى سالماً، اتخذه ولداً، وذلك قبل أن يُحرم التبني، وسالم هو ابن معقل مولى أبي حذيفة، ولم يكن مولاه وإنما كان يلازمه، بل كان من حلفائه، وكان استشهاد أبي حذيفة وسالم جميعاً يوم اليمامة في خلافة أبي بكر، رضي الله عن الجميع.

وقد زوج أبو حذيفة سالماً هند بنت أخيه الوليد بن عتبة أحد من قتل ببدر كافراً، كما تبنى النبي ﷺ زيد بن حارثة، قالت سهلة: فكان سالم يأوي معي ومع أبي حذيفة في بيت واحد فيراني فُضلا أي: متبذلة في ثياب المهنة، بمعنى أنه كان يدخل عليها وهي منكشف بعضها، يقال: تفضلت المرأة في بيتها إذا كانت في ثوب كقميص لا كُمَّين له، فلما أنزل الله فيه الآية وهي: «ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ»، وقوله: «وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ» [الأحزاب]، ذهبت سهلة زوجة أبي حذيفة إلى النبي ﷺ تسأله كيف يكون التعامل مع سالم بعد ذلك.

الحديث الثاني: الذي يدل على أن الكفاءة في الدين هي المقصودة، وليس النسب ؛ حديث عائشة رضي الله عنها قالت: دخل رسول الله ﷺ على ضباعة بنت الزبير، فقال لها: «لعلك أردتِ الحج». فقالت: والله لا أجدني إلا وجعة، فقال لها: «حجي واشترطي، قولي: اللهم محلي حيث حبستني». أي: مكان تحللي من الإحرام هو المكان الذي قدرت لي فيه الإصابة بعلة المرض وعجزتُ عن الإتيان بالمناسك. (رواه البخاري).

وكانت ضباعة تحت المقداد بن الأسود، أي زوجة له، وهي بنت الزبير بن عبد المطلب بنت عم رسول الله ﷺ، وهذا يدل على أن الكفاءة ليست معتبرة بالنسب وإلا لما جاز للمقداد أن يتزوج ضباعة وهي بنت أشراف القوم وزوجها المقداد كان حليفاً متبنى.

وللذي يعتبر الكفاءة في النسب أن يجيب بأنها رضيت هي وأولياؤها، فسقط حقهم من الكفاءة وهو جواب صحيح يثبت أصل اعتبار الكفاءة في النسب.

الحديث الثالث: حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها وجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك أي تنكح ويُرغب فيها لأجل خصال أربع مجتمعة أو منفردة. (لحسبها) هو ما يعده الناس من مفاخر الآباء وشرفهم، والحسب في الأصل: الشرف بالآباء وبالأقارب مأخوذ من الحساب، لأنهم كانوا إذا تفاخروا عَدّوا مناقبهم ومآثر آبائهم وقومهم وحسبوها فيحكم لمن زاد عدده على غيره، وقيل: المراد بالحسب هنا الفعال الحسنة، كما تنكح المرأة للمال والجمال والدين، فاظفر بذات الدين تربت يداك ولصقت بالتراب وافتقرت إن لم تفعل ذلك.

والراغب في المرأة لجمالها يؤخذ منه استحباب تزوج الجميلة إلا في حالة تعارض الجميلة هينة الدين مع غير الجميلة صاحبة الدين، نعم لو تساوتا في الدين فالجميلة أولى.

وعد قوم الكفاءة في المال؛ مستدلين بحديث بريدة يرفعه إلى النبي ﷺ: «أحساب أهل الدنيا الذي يذهبون إليه المال». صحيح ابن حبان وحسنه الألباني.

فيحتمل أن يكون المراد أن المال حسب من لا حسب له، أو أن من شأن أهل الدنيا رفع من كان كثير المال ولو كان وضيعًا، وكذلك حديث سمرة يرفعه: «الحسب المال، والكرم التقوى». أخرجه أحمد والترمذي، وصححه، وبهذا الحديث تمسك من اعتبر الكفاءة بالمال.

والخلاصة أن الأنظار تختلف حول المال والحسب والجمال، ويمكن التنازل والتغاضي عن فوات بعض ذلك أو كله لمن شاء، لكنها تتفق جميعًا على أن الدين هو الأساس الذي إذا ضاع يضيع كل شيء، ولا بديل له ولا عوض ولا عزاء، أما غير الدين إذا ضاع وبقي الدين فقد بقي كل شيء.

ولذلك رأينا سلفنا الكرام من كان في خلقته دمامة لكنه من أهل الجنة، وكذلك مَنْ كان فقيرًا لكنه من أهل الجنة، ومن كان من العبيد والموالي لكنه من أهل الجنة.

والمعنى أن اللائق بذي الدين والمروءة أن يكون الدين مطمح نظره في كل شيء لا سيما فيمن تطول صحبته ويكون رفيق العمر وشريك الحياة، فأمره النبي ﷺ بتحصيل صاحبة الدين الذي هو غاية البغية، وفي الحديث: «لا تزوجوا النساء لحسنهن، فعسى حسنهن أن يرديهن، أي يهلكهن، ولا تزوجوهن لأموالهن فعسى أموالهن أن تطغيهن، ولكن تزوجوهن على الدين، ولأمة سوداء ذات دين أفضل». رواه ابن ماجه عن عبد الله بن عمرو. وإن كان هذا الحديث ضعيفًا، لكن الآية الكريمة تظهر معناه. قال تعالى: «وَلاَ تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلاَ تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُوْلَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ».

الحديث الرابع: عن سهل قال: مر رجل على رسول الله ﷺ فقال: «ما تقولون في هذا؟» قالوا: حري إن خطب أن ينكح وإن شفع أن يشفع وإن قال أن يسمع. قال: ثم سكت فمر رجل من فقراء المسلمين، فقال: «ما تقولون في هذا؟» قالوا: حري إن خطب أن لا ينكح، وإن شفع أن لا يشفع، وإن قال أن لا يسمع. فقال رسول الله ﷺ: «هذا خير من ملء الأرض من مثل هذا». متفق عليه.

باب الأكفاء في المال وتزويج الفقير ذات الثراء

والمقل: الفقير: والمُثرية: ذات الثراء أي الغنى.

عن عروة: أنه سأل عائشة رضي الله عنها «وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى». قالت: يا ابن أختي هذه اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب في مالها وجمالها ومالها ويريد أن ينتقص صداقها فنهوا عن نكاحهن إلا أن يقسطوا في إكمال الصداق وأمروا بنكاح من سواهن قالت: واستفتى الناس رسول الله ﷺ بعد ذلك فأنزل الله: «وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللاَّتِي لاَ تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ»، فأنزل الله لهم أن اليتيمة إذا كانت ذات جمال ومال رغبوا في نكاحها ونسبها في إكمال الصداق وإذا كانت مرغوبا عنها في قلة المال والجمال تركوها وأخذوا غيرها من النساء، قالت: فكما يتركونها حين يرغبون عنها فليس لهم أن ينكحوها إذا رغبوا فيها إلا أن يقسطوا لها ويعطوها حقها الأوفى في الصداق.

والحمد لله أولاً وآخرًا، وصلى الله وسلم وبارك على عبده محمد وآله وصحبه أجمعين.

قصة صعود أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إلى الغار وهو يحمل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على عاتقه

إعداد/ علي حشيش

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة الخطباء والوعاظ والقصاص، واغتر كثير من الناس بها، وكم من قصص واهية في الهجرة خرجناها وحققناها في هذه السلسلة وبينا بطلانها، ونذكر القارئ الكريم بما أوردناه من قصص واهية حول الهجرة اشتهرت وانتشرت ليأخذ حذره: «قصة ثعبان الغار»، و«قصة عنكبوت الغار والحمامتين»، و«قصة غناء بنات النجار في الهجرة»، و«قصة لطم أبي جهل لأسماء بنت أبي بكر في الهجرة»، و«قصة أبي طالب في الهجرة ووصيته للنبي ﷺ»، و«قصة اللجوء إلى الغار عند الشدائد»، و«قصة تحكيم إبليس في دار الندوة»، و«قصة تبول المشرك عند الغار».

ولقد بينا بطلان هذه القصص بالبحوث العلمية الحديثية، ثم أتينا عقب كل قصة بالقصص الصحيحة في الهجرة، ونواصل في هذا العدد التحذير من القصص الواهية التي جاءت في الهجرة، وهي قصة «صعود أبي بكر إلى الغار وهو يحمل النبي ﷺ على عاتقه».

أولاً: متن القصة

رُوي عن ضبّة بن محصن العنزي، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في قصة ذكرها قال: فقال عمر: والله لليلة من أبي بكر ويوم خير من عُمُر عُمَر، هل لك أن أحدثك بليلته ويومه ؟

قال: قلت: نعم يا أمير المؤمنين، قال: أما ليلته فلما خرج رسول الله ﷺ هاربًا من أهل مكة خرج ليلاً فتبعه أبو بكر، فجعل يمشي مرة أمامه، ومرة خلفه، ومرة عن يمينه، ومرة عن يساره، فقال له رسول الله ﷺ: «ما هذا يا أبا بكر ما أعرف هذا من فعلك؟» قال: يا رسول الله، أذكر الرصد فأكون أمامك، وأذكر الطلب فأكون خلفك، ومرة عن يمينك، ومرة عن يسارك، لا آمن عليك، قال: فمشى رسول الله ﷺ ليلته على أطراف أصابعه، حتى حفيت رجلاه، فلما رأى أبو بكر رضي الله عنه أنها قد حفيت حمله على كاهله، وجعل يشتد به حتى أتى به فم الغار، فأنزله، ثم قال: والذي بعثك بالحق لا تدخله حتى أدخله، فإن كان فيه شيء نزل بي قبلك، فدخل فلم ير شيئًا، فحمله فأدخله، وكان في الغار خرق فيه حيات وأفاع، فخشي أبو بكر أن يخرج منهن شيء يؤذي رسول

الله ﷺ، فالقمه قدمه فجعلن يضربنه ويلسعنه: الحيات والأفاعي، وجعلت دموعه تنحدر، ورسول الله ﷺ يقول له: يا أبا بكر، لا تحزن إن الله معنا، فأنزل الله سكينته الاطمئنانية لأبي بكر، فهذه ليلته». اهـ.

قلت: ومما ساعد على اشتهار هذه القصة أن صفي الرحمن المباركفوري أورد هذه القصة: قصة حمل أبي بكر للنبي في كتابه «الرحيق المختوم» (ص١٦٧) تحت عنوان: «من الدار إلى الغار»، هذا الكتاب الذي اشتهر بين طلبة العلم فوزه بالجائزة الأولى والتي أعلنت رابطة العالم الإسلامي عنها في «المؤتمر الإسلامي الآسيوي الأول»، الذي عقد في كراتشي في شهر شعبان سنة ١٣٩٨هـ، كما أعلن على ذلك في جميع الصحف، وطبع بعدة لغات، مما أدى إلى اشتهار القصة.

فقال المباركفوري في «الرحيق المختوم» (ص١٦٧): «سلك النبي ﷺ الطريق الواقع جنوب مكة نحو خمسة أميال حتى بلغ إلى جبل يعرف بجبل ثور، وهذا جبل شامخ وعر الطريق، صعب المرتقى، ذا أحجار كثيرة، فحفيت قدما رسول الله ﷺ، وقيل: بل كان يمشي في الطريق على أطراف قدميه كي يخفي أثره، فحفيت قدماه، وأيًا ما كان، فقد حمله أبو بكر حين بلغ إلى الجبل، وطفق يشتد به حتى انتهى به إلى غار في قمة الجبل، عرف في التاريخ بغار ثور». اهـ.

قلت: هكذا أورد القصة المباركفوري - رحمه الله - من غير تخريج ولا تحقيق.

ثانيا: التخريج

هذه القصة الواهية التي اشتهرت، أخرج حديثها أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي في «دلائل النبوة» (٢ / ٤٧٦، ٤٧٧) قال: «أخبرنا أبو الحسين علي بن محمد بن عبد الله بن بشران العدل ببغداد قال: حدثنا أحمد بن سليمان النجار الفقيه إملاء، قال: قرئ على يحيى بن جعفر وأنا أسمع قال: أخبرنا عبد الرحمن بن إبراهيم الراسبي، قال: حدثني فرات بن السائب عن ميمون بن مهران، عن ضبة بن محصن العنزي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في قصة ذكرها...».

ثالثا: تحقيق القصة

القصة «موضوعة». والموضوع: هو الكذب المختلق المصنوع المنسوب إلى رسول الله ﷺ، وأجمع العلماء على أنه لا تحل روايته لأحد علم حاله في أي معنى كان إلا مع بيان سبب وضعه. (كذا في «التدريب»: ١ / ٢٧٤).

وفي القصة علتان:

الأولى: عبد الرحمن بن إبراهيم الراسبي.

أورده الإمام الذهبي في «الميزان» (٢ / ٥٤٥ / ٤٨٠٤)، ثم قال: «عبد الرحمن بن إبراهيم الراسبي عن مالك، أتى بخبر باطل طويل، وهو المتهم به، وأتى عن فرات بن السائب عن ميمون بن مهران عن ضبة بن محصن عن أبي موسى قصة الغار، وهو شبه وضع الطرقية».

قلت: وأقر الحافظ ابن حجر في «لسان الميزان» (٣ / ٤٩١) (٦٠٢ / ٤٩٥٣) قول الإمام الحافظ الذهبي في قصة الغار بأنها شبه وضع الطرقية.

العلة الأخرى: فرات بن السائب.

أورده الإمام الذهبي في «الميزان» (٣ / ٣٤١ / ٦٦٨٩)، ثم قال: «فرات بن السائب عن ميمون بن مهران:

قال البخاري: منكر الحديث.

وقال ابن معين: ليس بشيء.

وقال الدارقطني وغيره: متروك.

وقال أحمد بن حنبل: قريب من محمد بن زياد الطحان عن ميمون يتهم بما يتهم به ذاك.

وأقر الحافظ ابن حجر في «اللسان» (٤ / ٥٠٣، ٥٠٤) (١١ / ٦٥٢٢) ما أورده الإمام الذهبي، ثم قال: «وقال أبو حاتم الرازي: ضعيف الحديث، منكر الحديث.

وقال الساجي: تركوه.

وقال النسائي: «متروك الحديث».

قُلتُ: وإلى القارئ الكريم بيان معاني هذه المصطلحات عند أئمة الجرح والتعديل:

١- «وقول الإمام النسائي في فرات بن السائب: «متروك الحديث» قاله في كتابه «الضعفاء والمتروكين» ترجمة (٤٨٨).

وهذا المصطلح عند الإمام النسائي له معناه، حيث قال الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة» (ص٦٩): «كان مذهب النسائي أن لا يترك حديث الرجل حتى يجتمع الجميع على تركه».

٢- وكذلك ما نقله الإمام الذهبي عن البخاري في فرات بن السائب أنه «منكر الحديث» حققناه في «التاريخ الكبير» (٧ / ١٣٠) حيث قال: «فرات بن السائب أبو سليمان عن ميمون بن مهران تركوه منكر الحديث». اهـ.

وهذا المصطلح للإمام البخاري له معناه، يظهر هذا من تنبيهات السيوطي في «التدريب» (١ / ٣٤٩) حيث قال: «البخاري يطلق منكر الحديث على من لا تحل الرواية عنه».

٣- وكذلك ما نقله الذهبي عن الإمام ابن معين في فرات بن السائب أنه: «ليس بشيء».

قال الإمام ابن أبي حاتم في كتابه «الجرح والتعديل» (٣ / ٣٢١ / ١٤٣٩): «عن يحيى بن معين أنه قال: لا شيء يعني - ليس بثقة». اهـ.

قلت: بهذا التحقيق في فرات يتضح ما أورده الإمام ابن حبان في «المجروحين» (٢ / ٢٠٧) حيث قال: «الفرات بن السائب الجزري، يروي عن ميمون بن مهران، كان ممن يروي الموضوعات عن الأثبات، ويأتي بالمعضلات عن الثقات، لا يجوز الاحتجاج به، ولا الرواية عنه، ولا كتابة حديثه إلا على سبيل الاختبار». اهـ.

وهذا التحقيق له فائدة عظيمة لطالب هذا العلم عندما يقارن بين قول ابن حبان الذي ذكرناه آنفًا في فرات بن السائب، وبين ما قاله الحافظ ابن حجر في «التقريب» (١ / ٢٩٢) في ميمون بن مهران حيث قال: «ميمون بن مهران الجزري أبو أيوب - أصله كوفي، نزل الرقة، ثقة فقيه ولي الجزيرة لعمر بن عبد العزيز». اهـ.

بهذا يتبين أن الفرات بن السائب الجزري متروك، منكر الحديث، ليس بثقة، كان ممن يروي الموضوعات عن الثقات، كما روى هذه القصة الواهية عن ميمون بن مهران الجزري.

رابعًا:

١- نستنتج من هذا التخريج والتحقيق أن القصة واهية والحديث الذي جاءت به موضوع، وهي كما قال الإمام الذهبي: خبر باطل طويل هو شبه وضع الطرقية.

٢- وأن لكل إمام من أئمة هذا الفن مصطلحه الذي يبين مذهبه في الراوي، والذي يحتم على طالب هذا الفن أن يعرف معناه، حتى يقف على مرتبة الراوي.

٣- علم المصطلح التطبيقي يتوقف على:

أ- علم التخريج، وبه يحصل الباحث على الطريق أو الطرق الموصلة للمتن.

ب- علم الجرح والتعديل: وبه يحصل الباحث على مرتبة كل راوٍ.

جـ- علم المصطلح: وبه يحصل الباحث على درجة الحديث بتطبيقه على مرتبة الراوي ومدى ما به من علة وشذوذ.

خامسًا: الصحيح في الهجرة:

وإلى القارئ الكريم بعض القصص والأحاديث الصحيحة التي جاءت في الهجرة:

١- «صحيح البخاري» ح(٣٦٥٣، ٣٩٢٢، ٤٦٦٣)، ومسلم ح(٢٣٨١).

٢- والبخاري ح(٣٩٠٥، ٣٩٠٦)، ومسلم ح(٤٠٨٣).

٣- والبخاري ح(٣٩٠٧، ٣٩٠٨)، ومسلم ح(٢٠٠٩).

٤- والبخاري ح(٣٩١٠)، ومسلم (٢١٤٨).

٥- والبخاري ح(٣٩١١).

٦- ولقد بوب الإمام البخاري بابًا في «صحيحه»

في كتاب «مناقب الأنصار» الباب (٤٥) باب «هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة».

هذا على سبيل المثال لا الحصر لبيان القصص والأحاديث الصحيحة في الهجرة.

فليتمسك بها الداعية، وليحذر من مثل هذه القصة الواهية التي تجعل النبي ﷺ في غاية الضعف وهو في طريقه إلى الغار، لدرجة أنه لم يستطع المشي فحمله أبو بكر الصديق على كاهله، والكاهل من الإنسان ما بين كتفيه. كذا في «لسان العرب» (١١ / ٦٠٧)، حتى بلغ الجبل ثم صعد به الجبل إلى فم الغار وأنزله، حتى يتبين ما في داخل الغار، وهذه القصة الواهية تجعل النبي ﷺ في غاية الضعف، لدرجة أنه لم يستطع أن يدخل من فم الغار إلى داخل الغار فحمله أبو بكر فأدخله!!

انظر كيف سولت للوضاعين أنفسهم أن يضعوا مثل هذه القصة المنكرة!!

سادسًا: قصة صحيحة تدل على نكارة هذه القصة:

وإلى القارئ الكريم هذه القصة التي تدل على قوة نبينا ﷺ في أشد المواقف التي يعجز فيها أقوى الرجال.

فقد أخرج الإمام البخاري في صحيحه ح(٤١٠١) قال: حدثنا خلاد بن يحيى، حدثنا عبد الواحد بن أيمن عن أبيه قال: «أتيت جابرًا رضي الله عنه فقال: إنَّا يوم الخندق نحفر فعَرَضَت كُدْيَةٌ شديدة، فجاءوا النبي ﷺ، فقالوا: هذه كُدْيَة عرضت في الخندق، فقال: أنا نازل، ثم قام وبطنه معصوب بحجر، ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقًا، فأخذ النبي ﷺ المعول فضرب في الكدية، فعاد كثيبًا أهيل...».

قلت: والكدية: هي القطعة الصلبة الصماء من الجبل أعجزتهم فلجأوا إلى النبي ﷺ فضرب في الكدية فعاد كثيبًا أهيل - أي رملاً يسيل ولا يتماسك، قال الله تعالى: «وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلاً» [المزمل: ١٤]، أي: رملاً منهالاً منتثرًا.

هذه هي القوة التي أعطاها الله لنبينا ﷺ تنهال أمامها أشد الصخور، وهو في أشد أوقات الجوع ثلاثة أيام لا يذوق ذوقًا ﷺ هو وأصحابه، وهنا تظهر في نفس قصة الكدية معجزة تكثير الطعام حتى شبع المهاجرون والأنصار وبقي بقية، فقال النبي ﷺ لامرأة جابر: «كلي هذا واهدي، فإن الناس أصابتهم مجاعة». كل هذا بصاع من شعير وعناق، وهي أنثى المعز.

انظر إلى صخرة شديدة ومجاعة شديدة فكانت المعجزتان: معجزة فتَّتت الصخرة، ومعجزة أذهبت المجاعة. وبهذا تتبين الحكمة من الصخرة والمجاعة فتطمئن قلوب الصحابة بدلائل النبوة في أشد الغزوات التي تجمع فيها الأحزاب، ورزقهم الله بالاطمئنان الثبات حتى نصر الله عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده.

هذا ما وفقني الله إليه، وهو وحده من وراء القصد.

إشهار

تشهد مديرية التضامن الاجتماعي بمحافظة دمياط، أنه قد تم قيد لائحة النظام الأساسي لجمعية أنصار السنة المحمدية بسيف الدين تحت رقم (٤٤٦) بتاريخ ٣ / ١١ / ٢٠٠٨م، طبقًا للقانون (٨٤) لسنة ٢٠٠٢ بشأن الجمعيات والمؤسسات الأهلية واللائحة التنفيذية لذلك القانون.

فتاوى

تجيب عليها لجنة الفتوى بالمركز العام

من أحكام الجمعة

يسأل عبد اللطيف خضري باسم - من الجيزة يقول:

هل يشترط للجمعة أن يحضر المصلي ويستمع للخطبة، وهل تكون الصلاة صحيحة عند ذلك؟

الجواب: اختلف الفقهاء في المقدار الذي تُدرك به صلاة الجمعة، فمنهم من قال: لا تصح الجمعة لمن لم يدرك شيئًا من خطبة الإمام، وحجتهم أن الإمام لو لم يخطب بالناس لم يصلوا إلا أربعًا، وهذا لا شك مخالف لصريح السنة.

وفريق قال: من أدرك الإمام يوم الجمعة في أي جزء من صلاة صلى معه ما أدرك وأكمل الجمعة فإنه أدركها، حتى وإن أدركه في التشهد أو سجود السهو، وهذا قول أبي حنيفة وأبي يوسف. واستدلوا بأن صلاة الجمعة ركعتان بجماعة، ومن أدرك الإمام قبل سلامه فقد أدرك الجماعة، غاية ما هناك أنه مسبوق، والمسبوق يصلي مع الإمام ما أدرك ثم يتم ما فاته، وما فاته هنا ركعتان فلا يجب عليه أن يصلي أكثر مما أحرم ناويًا صلاته، ودليلهم في ذلك قول النبي ﷺ: «فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فاتموا».

فريق ثالث وهو أكثر أهل العلم وجمهور الفقهاء إلى أن من أدرك الركعة الثانية مع الإمام فقد أدرك الجمعة، وعليه أن يأتي بركعة أخرى بعد فراغ الإمام فإن لم يدرك منها ركعة ؛ وذلك بعدم إدراكه ركوع الركعة الثانية، فإنه يأتي بعد فراغ الإمام بأربع ركعات ظهراً لأنه لم يدرك الجمعة أصلاً، وهذا القول مروي عن أنس وابن مسعود وابن عمر، وسعيد بن المسيب والحسن البصري وعروة، وأحمد وكثير من أهل العلم. قال أحمد: إذا فاته الركوع - الثاني - صلى أربعًا، وإذا أدرك ركعة صلى إليها أخرى.

يسأل: سيد فرغلي مسعد - ملوي - المنيا يقول: يفتي بعض الناس بجواز التوسل بالنبي ﷺ حياً وميتاً، ولا شيء على المتوسل، بل يجاب دعاؤه ويؤخذ على القبول ويستشهدون لذلك بحديث الأعمى الذي فقد بصره وذهب إلى النبي ﷺ فأشار إليه أن يتوجه إلى الله بالدعاء ويقول: اللهم إني أتوجه إليك بنبيك ورسولك... إلخ. وقد علمت من كتب العقيدة عدم جواز التوسل بالنبي ﷺ ميتاً ؟ فما الحكم؟

الجواب: أخرج أحمد وغيره بسند صحيح عن عثمان بن حنيف: أن رجلاً ضرير البصر أتى النبي ﷺ ، فقال: ادع الله أن يعافيني. قال: «إن شئت دعوت لك، وإن شئت أخرت ذاك فهو خير». وفي رواية: «وإن شئت صبرت فهو خير لك». فقال: ادعه، فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه فيصلي ركعتين ويدعو بهذا الدعاء: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه فتقضي لي اللهم فشفعه في. (وشفعني فيه). قال: ففعل الرجل فبرأ.

يرى المخالفون: أن هذا الحديث يدل على جواز التوسل في الدعاء بجاه النبي ﷺ أو غيره من الصالحين ؛ إذ فيه أن النبي ﷺ علم الأعمى أن يتوسل به في دعائه، وقد فعل الأعمى ذلك فعاد بصيراً.

وأما نحن فنرى أن هذا الحديث لا حجة لهم فيه على التوسل المختلف فيه وهو التوسل بالذات، بل هو دليل على التوسل المشروع الذي أسلفناه ؛ لأن توسل الأعمى إنما كان بدعائه، والأدلة على ما نقول من الحديث نفسه كثيرة ومنها:

أولاً: أن الأعمى إنما جاء إلى النبي ﷺ ليدعو له، وذلك قوله: «ادع الله أن يعافيني». فهو قد توسل إلى الله تعالى بدعائه ﷺ لأنه يعلم أن دعاءه ﷺ أرجى للقبول عند الله بخلاف دعاء غيره، ولو كان قصد الأعمى التوسل بذات النبي ﷺ أو جاهه أو حقه لما كان ثمة حاجة به إلى أن يأتي النبي ﷺ ويطلب منه الدعاء له، بل كان يقعد في بيته ويدعو ربه بأن يقول مثلاً: «اللهم إني أسألك بجاه نبيك ومنزلته عندك أن تشفيني وتجعلني بصيراً». ولكنه لم يفعل، لماذا؟ لأنه عربي يفهم معنى التوسل في لغة العرب حق الفهم، ويعرف أنه ليس كلمة يقولها صاحب الحاجة يذكر فيها اسم المتوسل به بل لابد أن يشمل على المجيء إلى من يعتقد فيه الصلاح والعلم بالكتاب والسنة وطلب الدعاء منه له.

ثانياً: أن النبي ﷺ وعده بالدعاء مع نصحه له ببيان ما هو الأفضل له وهو قوله ﷺ: «إن شئت دعوت وإن شئت صبرت فهو خير لك». وهذا الأمر الثاني هو ما أشار إليه ﷺ في الحديث الذي رواه عن ربه تبارك وتعالى أنه قال: «إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه - أي عينيه - فصبر عوضته منهما الجنة».

ثالثاً: إصرار الأعمى على الدعاء، وهو قوله: «فادع». فهذا يقتضي أن الرسول ﷺ دعا له لأنه ﷺ خير من وفى بما وعد، وقد وعده بالدعاء له إن شاء كما سبق، فقد شاء الدعاء وأصر عليه، فإذن لابد أنه ﷺ دعا له فثبت المراد، وقد وجه النبي ﷺ الأعمى بدافع من رحمته وبحرص منه على أن يستجيب الله تعالى دعاءه فيه وجهه إلى النوع الثاني من التوسل المشروع وهو التوسل بالعمل الصالح ليجمع له الخير من أطرافه فأمره أن يتوضأ ويصلي ركعتين ثم يدعو لنفسه، وهذه الأعمال طاعة لله سبحانه وتعالى يقدمها بين يدي دعاء النبي ﷺ له وهي تدخل في قوله تعالى: «وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ».

وهكذا فلم يكتف الرسول ﷺ بدعائه للأعمى الذي وعده به، بل شغله بأعمال فيها طاعة لله سبحانه وتعالى وقربة إليه ليكون الأمر مكتملاً من جميع نواحيه وأقرب إلى القبول والرضا من الله سبحانه وتعالى، وعلى هذا فالحادثة كلها تدور حول الدعاء - كما هو ظاهر - وليس فيها ذكر شيء مما يزعمون، ولما كان الدعاء

من بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى غير معلوم بالنسبة للمتوسلين في شتى الحوائج والرغبات وكانوا هم أنفسهم لا يتوسلون بدعائه ﷺ بعد وفاته لذلك اختلف الحكم.

رابعًا: أن في الدعاء الذي علمه رسول الله ﷺ إياه أن يقول: «اللهم فشفعه في». وهذا يستحيل حمله على التوسل بذاته ﷺ.

هذه الجملة صحت في الحديث أخرجها أحمد والحاكم وصححه ووافقه الذهبي، وهي وحدها حجة قاطعة على أن حمل الحديث على التوسل بالذات باطل كما ذهب إليه بعض المؤلفين حديثًا والظاهر أنهم علموا ذلك، ولهذا لم يوردوا هذه الجملة مطلقًا الأمر الذي يدل على مبلغ أمانتهم في النقل. ولهذا نرى المخالفين يتجاهلونها ولا يتعرضون لها من قريب أو من بعيد لأنها تنسف بنيانهم من القواعد وتجتثه من الجذور وإذا سمعوها رأيتهم ينظرون إليك نظر المغشي عليه. ذلك أن شفاعة الرسول ﷺ في الأعمى مفهومة ولكن شفاعة الأعمى في الرسول ﷺ كيف تكون ؟ لا جواب لذلك عندهم البتة، ومما يدل على شعورهم بأن هذه الجملة تبطل تأويلاتهم أنك لا ترى واحدًا منهم يستعملها فيقول في دعائه مثلاً: «اللهم شفع في نبيك وشفعني فيه أو جاهه أو حقه إذ أن المعنى: اللهم أقبل شفاعته ﷺ في، أي اقبل دعاءه في أن ترد عليّ بصري والشفاعة لغة الدعاء وهو المراد بالشفاعة الثابتة له ﷺ ولغيره من الأنبياء والصالحين يوم القيامة، وهذا يبين أن الشفاعة أخص من الدعاء إذ لا تكون إلا إذا كان هناك اثنان يطلبان أمرًا فيكون أحدهما شفيعًا للآخر بخلاف الطالب الواحد الذي لم يشفع غيره. فثبت بهذا الوجه أيضًا أن توسل الأعمى إنما كان بدعائه ﷺ لا بذاته.

خامسًا: إن مما علم النبي ﷺ الأعمى أن يقوله: «وشفعني فيه». أي: اقبل شفاعتي أي دعائي في أن تقبل شفاعته ﷺ أي دعاءه في أن ترد عليّ بصري. هذا الذي لا يمكن أن يفهم من هذه الجملة سواه.

سادسًا: إن هذا الحديث ذكره العلماء في معجزات النبي ﷺ ودعائه المستجاب، وما أظهر الله ببركة دعائه من الخوارق والإبراء من العاهات فإنه بدعائه ﷺ لهذا الأعمى أعاد الله عليه بصره ولذلك رواه المصنفون في «دلائل النبوة» كالبيهقي وغيره، لهذا يدل على أن السر في شفاء الأعمى إنما هو دعاء النبي ﷺ ويؤيده أنه لو كان السر هو في دعاء الأعمى وحده دون دعائه ﷺ لكان كل من دعا به من العميان مخلصًا إليه تعالى منيبًا إليه قد عوفي بل على الأقل لعوفي واحد منهم وهذا ما لم يكن ولعله لا يكون أبدًا، كما أنه لو كان السر في شفاء الأعمى أنه توسل بجاه النبي ﷺ وقدره وحقه كما يفهم عامة المتأخرين لكان من المفروض أن يحصل هذا الشفاء لغيره من العميان الذين يتوسلون بجاهه ﷺ بل ويضمون إليه أحيانًا جاه جميع الأنبياء والمرسلين وكل الأولياء والشهداء والصالحين وجاه كل من له جاه عند الله من الملائكة والإنس والجن أجمعين ولم نعلم ولا نظن أحد قد علم حصول مثل هذا خلال هذه القرون الطويلة بعد وفاته ﷺ إلى اليوم إذا تبين للقارئ الكريم ما أوردناه من الوجوه الدالة على أن حديث الأعمى إنما يدور حول التوسل بدعائه ﷺ وأنه لا علاقة له بالتوسل بالذات فحينئذ يتبين له أن قول الأعمى في دعائه: «اللهم إني أسألك وأتوسل إليك بنبيك محمد ﷺ»، إنما المراد به: أتوسل إليك بدعاء نبيك أي: على حذف المضاف وهذا أمر معروف في اللغة. كقوله تعالى: «وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا» أي: أهل القرية وأصحاب العير. ونحن و المخالفون متفقون على ذلك أي على تقدير مضاف محذوف وهو مثل ما رأينا في دعاء عمر وتوسله بالعباس، فإما أن يكون التقدير: إني أتوجه إليك بجاه نبيك، ويا محمد إني توجهت بذاتك، أو مكانتك إلى ربي كما يزعمون، وإما يكون التقدير إني أتوجه إليك بدعاء نبيك، ويا محمد إني توجهت بدعائك إلى ربي كما هو قولنا ولا بد لترجيح أحد التقديرين من دليل يدل عليه فأما تقديرهم «بجاهه»، فليس لهم عليه دليل لا من هذا الحديث ولا من غيره إذ ليس في سباق الكلام ولا سياقه تصريح أو إشارة إلى ذكر الجاه أو ما يدل عليه إطلاقًا كما أنه ليس عندهم شيء من القرآن أو من السنة أو من فعل الصحابة يدل على التوسل بالجاه فبقي تقديرهم من غير مرجح فسقط من الاعتبار، والحمد لله.

شراء الشقق بالتقسيط

ويسأل: م. م. س- دمياط - سيف الدين يقول:
تقدمت لحجز شقة قام بطرحها صندوق التمويل العقاري، ويتم سداد الثمن بمقدم يقل أو يكثر والباقي يقسط يزيد وينقص على حسب المقدم المدفوع وجهة التعامل هي البنك، فما حكم شراء هذه الشقة؟

الجواب: إذا كان البنك وسيطًا في دفع ثمن الشقة كاملاً لصندوق التمويل العقاري، ويستوفيها من المشترين بالتقسيط ولا يمتلك شققًا من الأصل، فهو بذلك وسيط ربوي يقوم بإقراض المبلغ نقداً وسيأخذه منك بزيادة، والتعامل بهذه الصورة لا يجوز، أما إذا كان البنك ممتلكًا للشقق فبيعه صحيح نقدًا كان أو بالتقسيط.

٣- ويسأل سؤالاً ثانيًا:

يقول: تم تعييني في وظيفة حكومية وكنت قبل ذلك مقيداً بنقابة مهنية وتم ضم هذه المدة مع مدة عملي الجديد، وبناءً عليه تم منحي علاوات سنوية زاد معها أساس راتبي أكبر مما كان عليه، علمًا بأنني لم أزاول المهنة الحرة بالنقابة المهنية من الناحية العملية.

الجواب: ما دمت في إطار اللوائح والقوانين فلا حرج عليك مما تكافئك به الدولة زيادة أو نقصًا، أما تقصيرك في عملك المكلف به أو تحايلك بأنك تعمل وفي الحقيقة لا تعمل، فهذا من التحايل والوصول إلى المال بالحيلة، وهو محرم شرعًا ويأثم فاعله، والله سائلك عن مالك من أين اكتسبته وفيم أنفقته، فأعد للسؤال جوابا، والله تعالى أعلم.

الصلاة في مقر العمل

يسأل: أبو مريم، مدينة نصر - القاهرة- يقول:
ما حكم الصلاة داخل الشركة التي نعمل بها في حالة كثرة عدد عمال الشركة عن روّاد المسجد خارج الشركة، وتعذر خروجنا كذلك أثناء العمل؟

الجواب: إذا كان الأمر كما ذكر السائل فليتخذوا داخل الشركة مكانًا يجعلونه مسجداً يجتمعون ويصلون فيه جميعًا، والله تعالى يقول: «فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ» أي: ابذلوا وسعكم في تقوى الله وطاعته، وما لا تقدرون عليه فلا يكلف الله نفسًا إلا ما استطاعت.

قيادة المرأة للسيارة

ما حكم قيادة المرأة للسيارة، وحدها داخل المدينة؟ وهل تجوز لها مع أحد محارمها؟

الجواب: القاعدة الشرعية أن درء المفاسد مقدم على جلب المنافع، وقيادة المرأة للسيارة وحدها يعرضها للاختلاط بالرجال، إذا تعطلت السيارة فماذا تصنع وأين تذهب؟ وربما كانت في مكان منقطع عن الناس فمر بها سفهاء الأخلاق فساوموها على إصلاح السيارة، أو خدعوها، أو اعتدوا عليها، كما أن قيادة المرأة السيارة يعرضها للسفر بدون محرم خاصة في الأماكن البعيدة التي يقطعها الماشي في يوم وليلة، وقد حرم الإسلام أن تسافر المرأة مسيرة يوم وليلة بدون محرم، أما قيادتها لها مع أحد المحارم فكيف تكون المرأة قائدًا للرجل؟! وهل سيكون محرمها معها في كل مرة، وهو هذه المرة شيء مباح، لكنه يؤدي في الغالب إلى مفاسد، فدرء المفاسد أولى، وسد الذرائع أحرى، والغيرة على المرأة والأعراض من الأولويات العظمى. والله أعلم.

مدخل إلى الفقه الإسلامي

إعداد: د/ حمدي طه

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، الصادق الوعد الأمين، صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحبه ومن سار على طريقته وانتهج نهجه إلى يوم الدين.. أما بعد:

فإن شريعة الإسلام هي المحجة البيضاء والصراط المستقيم، شرعها الله تعالى بعلمه وأنزلها على خاتم أنبيائه ورسله، ووفر لها من أسباب القوة والحفظ ما جعلها خالدة على الدهر، معصومة عن أن تميل إلى باطل، أو تنحرف إلى ضلال، ويسر لها منذ عصر الصحابة والتابعين ومن بعدهم، أقوامًا آمنوا بها، وأخلصوا لها، فشمروا عن سواعد الجد في خدمتها، ولقد كان الفقه الإسلامي في مختلف العصور، مظهرًا من مظاهر عناية الأمة بهذه الشريعة المطهرة، وكانت المذاهب التي تستند إلى أصوله الثابتة، وقواعده المقررة، مدارس للنظر والبحث والاستنباط والترجيح اعتمادًا على الأدلة المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وما استند إليهما من أصول، ولما كان الفقه علمًا مستقلاً ناسب ذكر مبادئه أو التي يعبر عنها بالمقدمات التي ينبغي لقاصد كل علم أن يعرفها، لتصور ذلك العلم قبل الشروع فيه، وقد نظمها بعضهم في قوله:

إن مبادئ كل علم عشرة
الحد والموضوع ثم الثمرة
ونسبة وفضله والواضع
والاسم الاستمداد حكم الشارع
مسائل والبعض بالبعض اكتفى
ومن درى الجميع حاز الشرفا

وعلى ذلك فأول ما ينبغي الكلام عليه في أي علم هو الحد - أي التعريف -:

أولاً: تعريف الفقه

١- الفقه في اللغة: قال في القاموس المحيط (٤ / ٢٩١): الفقه بالكسر العلم بالشيء والفهم له.

وقال ابن فارس: وكل علم لشيء فهو فقه. [معجم مقاييس اللغة ٤ / ٤٤٢].

فالفقه هو الفهم لما ظهر أو خفي، قولاً كان أو غير قول، ومن ذلك قوله تعالى على لسان قوم شعيب: «مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ» [هود: ٩١]، وقوله تعالى: «وَلَكِنْ لاَ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ» [الإسراء: ٤٤].

٢- الفقه اصطلاحًا: غلب في الصدر الأول استعمال الفقه في فهم أحكام الدين جميعًا، سواء أكانت متعلقة بالعقائد وما يتصل بها أم كانت متعلقة بالأخلاق، أم كانت متعلقة بالعبادات والمعاملات، فكانت تعني في هذا العصر كل ما جاءت به الشريعة في المدلول العام، وكان الفقه مرادفًا للكلمات (شريعة، وشرعة، وشرع، ودين)، التي كان يفهم من كل منها عند الإطلاق (ما شرعه الله لعباده من أحكام)، وكان مستند هذا الاستعمال لكلمة الفقه قول الله تعالى: «فَلَوْلاَ نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ

ليتفقهوا في الدين» [التوبة: ١٢٢]، وهذا الاستعمال قد استمر أمداً ليس بالقصير، يرشدنا إلى هذا ما نقل عن الإمام أبي حنيفة رحمه الله: من أن الفقه هو معرفة النفس ما لها وما عليها، لهذا سمى كتابه في العقائد (الفقه الأكبر). [موسوعة الفقه الإسلامي ١ / ٩].

ثم دخل التخصيص على هذه اللفظة - الفقه - ونتيجة لذلك وجد تعريف خاص بعلماء أصول الفقه وآخر للفقهاء لهذه الكلمة.

أ- تعريف الفقه عند علماء أصول الفقه: إن الأصوليين اتجهت عنايتهم إلى بيان مفهوم الفقه في اصطلاحهم بالمعنى الوصفي، أي الحال التي إذا وجد عليها المرء سمي فقيهاً، ولم يعرضوا لمعناه الأسمى، أي المسائل والأحكام التي يطلق عليها اسم الفقه.

واشهر التعريفات التي جرى عليها جمهور الأصوليين في تعريف الفقه هو: «أن الفقه العلم بالأحكام الشرعية العملية المستنبطة أو المكتسبة من أدلتها التفصيلية». [الموسوعة الفقهية الكويتية ١ / ١٣].

وهذا التعريف وردت به ألفاظ يحسن بنا أن نتعرف عليها؛ فلفظ العلم المقصود به هو إدراك المعلوم على ما هو به، وعكسه الجهل، والعلم نوعان:

الأول: ضروري، وهو ما لا يحتاج إلى نظر لاكتسابه، وهو ما عبر عنه الإمام الشافعي في الرسالة بقوله: علم العامة. (الرسالة ص٣٥٧).

وهو ما علم من الدين بالضرورة كوجوب الصلاة والزكاة وحرمة الزنا والسرقة.

الثاني: علم مكتسب، وهو ما يحتاج إلى نظر واستدلال ليكتسب كمعرفة هل لمس المرأة الأجنبية ينقض الوضوء أم لا ؟ إلى غير ذلك من الأحكام الفرعية.

وهذا النوع الثاني وهو العلم المكتسب المراد الأحكام وهو جمع حكم، والمراد به هنا: خطاب الله تعالى المتعلق بأفعال المكلفين على سبيل الاقتضاء أو التخيير أو الوضع فهو عبارة عما يوجهه الله تعالى إلى عباده على جهة الاقتضاء - أي الأمر والنهي - لأنها صيغة الحكم (افعل أو لا تفعل)، فإن كان الأمر على سبيل الحتم والإلزام فهذا يقتضي الوجوب، وإن كان الأمر على غير سبيل الحتم والإلزام فهذا يقتضي الندب - أي الاستحباب - وإن كان النهي على سبيل الحتم والإلزام فهذا يقتضي الحرمة وإن كان النهي على غير سبيل الحتم والإلزام فهذا يقتضي الكراهة، أما التخيير في الصيغة الدالة على الحكم بين افعل ولا تفعل فتقتضي الإباحة، وما سبق يطلق عليه الحكم التكليفي، والوضع هو جعل الشيء سبباً لشيء أو شرطاً له أو مانعاً منه أو صحيحاً أو فاسداً، وهو ما يُطلق عليه الحكم الوضعي، وهو - أي الأحكام - المستفادة من أمر الشارع صراحة أو دلالة.

وجاءت كلمة الشرعية في التعريف ليخرج بها الأحكام العقلية والحسية واللغوية لأنها ليست علماً بالأحكام الشرعية، وكلمة العملية ليخرج بها الأحكام الشرعية الاعتقادية التي هي أصول الدين، وكذلك الأحكام الشرعية القلبية التي ترجع إلى أعمال القلوب كحرمة الحقد والحسد والرياء إلى غير ذلك.

وكلمة المستنبطة أو المكتسبة ليخرج بها علم جبريل عليه السلام وعلم النبي ﷺ، بما طريقه الوحي لأنه ليس فقهاً، حيث إنه غير مستفاد بطريق الاستنباط والاستدلال، بل بطريق الوحي، وكذلك معرفة الأحكام العملية بطريق التقليد كمعرفة الحنفي فرضية مسح ربع الرأس، ومعرفة الشافعي جواز الاكتفاء بمسح بعض الرأس في الوضوء لأنها غير حاصلة بطريق الاستنباط. [الموسوعة الفقهية الكويتية ١ / ١٣، والمدخل الفقهي العام ١ / ٦٥].

وكلمة الأدلة التفصيلية:

هي الأدلة الخاصة بكل مسألة فقهية فرعية سواء كانت من القرآن أو السنة، فيخرج بذلك علم الأصولي إذ أن قواعد أصول الفقه تستفاد من الأدلة الإجمالية.

ومن هذا التعريف يتبين لنا أن لفظ الفقيه عند الأصوليين لا يطلق إلا على من كانت له ملكة الاستنباط ويستطيع أن يستنبط الأحكام من أدلتها التفصيلية.

٢- تعريف الفقه عند الفقهاء: يطلق الفقه عندهم على أحد معنيين: أولهما: حفظ طائفة من الأحكام الشرعية العملية الواردة في الكتاب أو السنة، أو وقع الإجماع عليها أو استنبطت بطريق القياس المعتبر شرعاً، أو بأي دليل آخر يرجع إلى هذه الأدلة، سواء أحفظت هذه الأحكام بأدلتها أم بدونها، فعلى هذا يكون الفقيه عندهم لا يجب أن يكون مجتهداً كما هو رأي الأصوليين.

ثانيهما: أن الفقه يطلق على مجموعة الأحكام والمسائل الشرعية العملية، فإذا ذكرت دراسة الفقه أو فهم الفقه أو ما ورد في الفقه أو التكاليف في الفقه أو كتب الفقه، أو ما هو من هذا القبيل، فإنهم لا يعنون إلا هذه المجموعة التي تحتوي على الأحكام الشرعية العملية التي نزل بها الوحي. [موسوعة الفقه الإسلامي].

ثانياً: موضوع علم الفقه: يتناول علم الفقه كما

ذكرنا في التعريف أفعال المكلفين، سواء كانت بين الإنسان ونفسه، أو بينه وبين ربه، أو بينه وبين غيره من الناس، كما سيأتي بيانه في أقسام الفقه لمعرفة حكم الله تعالى على هذه الأفعال من حيث الحكم التكليفي المتمثل في الوجوب والندب والحرمة والكراهة والإباحة أو الحكم الوضعي من حيث الصحة والفساد.

ثالثًا: الثمرة، (أي الفائدة التي يجنيها الإنسان من تعلم الفقه):

إن علم الفقه من أوفر العلوم حظًا، ذلك لأنه الأصل الذي يزن به المسلم عمله أحلال أم حرام؟ أصحيح أم فاسد؟ والمسلمون في جميع العصور حريصون على معرفة الحلال والحرام والصحيح والفاسد من تصرفاتهم سواء ما يتصل بعلاقتهم بالله أو بعباده؛ لأن عمل الإنسان لا يقبل إلا بشرطين الأول أن يكون خالصًا لله، والثاني أن يكون موافقا لما شرعه الله وكلا الشرطين لا يعرف إلا عن طريق الفقه، ومن هنا تظهر أهمية علم الفقه والثمرة من تعلمه.

رابعًا: فضله:

علم الفقه من أشرف العلوم الشرعية، وقد أورد الخطيب البغدادي في كتابه الفقيه والمتفقه بابًا مستقلاً في فضل الفقه، ولكن أكثر ما أورده فيه من أحاديث لا تصح ويكفينا هنا أن نورد حديث رسول الله ﷺ الذي بين فيه فضل التفقه في الدين كما عند البخاري ومسلم من حديث معاوية رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين». فدل ذلك على أن التفقه في الدين وطلب العلم بوجه عام من علامات إرادة الخير بالعبد المؤمن.

خامسًا: الواضع:

والمقصود به هنا أول من صنف في علم الفقه، وقد ذكر أبو هلال العسكري في كتابه الأوائل أن أول من ألف في فقه الإمام مالك بن أنس صاحب المذهب المشهور وإمام الهجرة، فكان كتابه الموطأ أول ما صنف في هذا العلم، وكان ذلك بأمر من الخليفة العباسي المنصور حين قال له: «يا أبا عبد الله، ضم هذا العلم ودون كتابًا، وتجنب فيه شدائد عبد الله بن عمر ورخص ابن عباس وشواذ ابن مسعود، واقصد أوسط الأمور وما اجتمع عليه الأئمة والصحابة».

ثامنًا: المسائل:

إن رجال الفقه الأول لم يذكروا أقسامًا للفقه، فقد ذهب لهذا الفقهاء من بعدهم إلا أن المتتبع لمسائل الفقه يجد أن للفقه تقسيمات شتى لاعتبارات شتى نكتفي منها بالآتي:

أولاً: تقسيم مسائله باعتبار أدلته:

وهو بهذا:

١- فقه معتمد على أدلة قطعية في ثبوتها ودلالتها: وذلك مثل مقدار ما يستحقه الورثة من أصحاب الفروض ووجوب الصلاة والزكاة والحج مما لا يختلف فيه بين أهل العلم.

٢- فقه يعتمد على أدلة ظنية: وهي إما أن تكون ظنية الثبوت أو ظنية الدلالة فيدخلها الاحتمال، وتختلف وجهات نظر أجل العلم فيها مثل القدر الواجب أهل مسحه من الرأس في الوضوء وعدة ذات الحيض هل هي الحيض أم الطهر، إلى غير ذلك من المسائل التي تكون على هذه الصفة.

ثانيًا: تقسيم مسائله باعتبار موضوعاته:

يتناول الفقه كل ما يصدر عن العباد، وبهذا تعددت موضوعاته في الأحكام التي تنظم علاقة العبد بالله تعالى سميت بالعبادات وهي إما بدنية محضة كالصلاة والصوم، وإما مالية محضة كالزكاة، وإما منهما كفريضة الحج.

والأحكام التي تنظم علاقة العبد بغيره سميت بالمعاملات سواء ما يتعلق منها بالبيوع وسائر المعاملات أو ما يتعلق بأحكام الأسرة من زواج وطلاق ومواريث أو ما يتعلق بشئون الدولة وهو ما يسمى بالسياسة الشرعية، أو ما يتعلق بعلاقة الدول بعضها ببعض، وهي العلاقات الدولية في الإسلام.

ثالثًا: تقسيم مسائله باعتبار حكمته:

تنقسم مسائل الفقه من حيث إدراك حكمة التشريع فيه أو عدم إدراكها إلى قسمين:

١- أحكام معقولة المعنى: وقد تسمى أحكام معللة، وهي تلك الأحكام التي تدرك حكمة تشريعها إما للتنصيص عليها، أو يسر استنباطها، وهذه هي الأكثر فيما شرع الله تعالى، كتشريع المهر في الزواج والعدة في الطلاق والوفاة، إلى غير ذلك.

٢- أحكام تعبدية: وهي تلك التي لا تدرك فيها المناسبة بين الفعل والحكم المرتب عليه، وذلك كعدد الصلوات وعدد ركعات كل صلاة، وأفعال الحج، إلى غير ذلك.

هذا ما تيسر لنا تلخيصه من مبادئ الفقه الإسلامي، نسأل الله تعالى أن ينفع به، وهو من وراء القصد، وهو يهدي السبيل.

إعلام المصلين والولاة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الأمين، وبعد:

فقد لا يستطيع المسلم النطق بتكبيرة الإحرام لأنه أبكم أو أخرس، أو لوجود عذر يمنعه من الكلام فتصح صلاته، والأصل قراءة الفاتحة في الصلاة، إلا أنه قد يسلم كافر غير عربي من العجم فيريد أن يصلي وهو لا يحفظ الفاتحة، فتصح صلاته حتى يتعلم، فإن لم يستطع تعلمها أو تعلم شيئًا من القرآن اكتفى بالتسبيح والتهليل، وقد لا يستطيع المسلم أن يركع بحيث تمس يداه ركبتيه إذا كان معتدل الخلقة، وذلك بسبب عذر كمريض طريح الفراش، أو أسير مربوط واقفًا إلى سارية أو شجرة فيقبل منه الإيماء أو ما يستطيعه، والأصل أن يسجد المصلي على سبعة أعظم، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أسجد على سبعة أعظم: على الجبهة، وأشار بيده على أنفه، واليدين، والركبتين، وأطراف القدمين». [متفق عليه].

وعنه أيضا قال: قال رسول الله ﷺ: «لا صلاة لمن لا يصيب أنفه من الأرض ما يصيب جبينه». [رواه الدارقطني وصححه الألباني].

إلا أن المسلم قد يعتريه شيء يمنعه من السجود على هذه العظام السبعة، فقد يصلي على كرسي ويومئ للسجود فصلاته صحيحة إن كان معذوراً.

٤ - حكم من ترك ركنا من الأركان:

القاعدة أن الركن لا يسقط عمداً ولا سهواً ولا جهلاً، فإذا ترك المصلي ركناً من أركان الصلاة متعمداً بطلت صلاته بمجرد الترك، أما إن كان ناسياً فعليه أن يأتي بالركن المتروك ثم يسجد سجدتين للسهو، وقد فرق العلماء بين تذكر الركن المتروك قبل أن يَصل إلى مثله من الركعة التالية، وبين تذكره بعد أن يَصل إلى مثله من الركعة التالية، فإذا لم يصل فعليه أن يأتي بالركن المتروك ثم يستمر في صلاته، وإن تذكر بعد أن وصل فلا تحتسب الركعة التي ترك فيها الركن.

مثال ذلك: رجل صلى فنسي أن يركع، ثم سجد وجلس بين السجدتين، ثم تذكر أنه لم يركع، يجب عليه أن يقوم فيركع، ثم يستمر في صلاته حتى يكملها، ثم يسجد سجدتين للسهو بعد السلام، فإن تذكر حينما وصل إلى موضع الركوع من الركعة التالية، فلا تحتسب الركعة التي ترك فيها الركن، فإن كانت الأولى وتذكر في الثانية كان كأنه صلى ركعة واحدة، وإن كانت الثانية وتذكر في الثالثة كان كأنه صلى ركعتين، وإن كانت الثالثة وتذكر في الرابعة كان كأنه صلى ثلاثاً، وهكذا، أما إن تذكر بعد التسليم والفراغ من صلاته، فإن كان الفاصل الزمني بين الفراغ والتذكر يسيراً أتى بالركن وسجد سجدتين للسهو، وإن كان الفاصل كبيراً أعاد صلاته كلها، فإن ترك سجدة مثلاً وتذكر بعد السلام أتى بركعة كاملة وسجد سجدتين للسهو.

الدليل على ذلك: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: صلى بنا رسول الله ﷺ إحدى صلاتي العشي (الظهر أو العصر)، فصلى ركعتين ثم سلم، فقام إلى خشبة معروضة في المسجد، فوضع يده عليها كأنه غضبان، فشبك أصابعه ووضع يده اليمنى على ظهر كفه اليسرىوخرجت السرعان من المسجد (الذين يخرجون مسرعين)، فقالوا: أقصرت الصلاة؟ وفي

بمن يقدمونه لإمامة الصلاة

القوم أبو بكر وعمر، فهابا أن يكلماه وفي القوم رجل في يده طول يقال له: ذو اليدين، فقال: يا رسول الله، أنسيت أم قصرت الصلاة؟ قال: «لم أنس ولم تقصر». فقال: «أكما يقول ذو اليدين؟» قالوا: نعم. قال: فتقدم فصلى ما ترك من صلاته، ثم سلم، ثم كبر وسجد مثل سجوده أو أطول، ثم رفع رأسه فكبر، ثم كبر وسجد مثل سجوده أو أطول، ثم رفع رأسه فكبر، قال: فربما سألوه ثم سلم. [متفق عليه].

٥- الحكم في حالة الشك في ترك ركن من الأركان:

إذا شك في ترك ركن من أركان الصلاة، فهو لا يخلو من الحالات الآتية:

الأولى: أن يكون الشك وهمًا لا حقيقة له، فهذا لا يؤثر عليه ويستمر في صلاته كأن لم يحدث له شك.

الثانية: أن يكون الشك كثيرًا معه، كما يوجد عند كثير من الموسوسين. نسأل الله لنا ولهم والعافية، فلا يلتفت إليه أيضًا وليستمر في صلاته، حتى لو خرج من صلاته وهو يرى أنه مقصر فيها فلا يلتفت إلى ذلك.

الثالثة: أن يكون شك بعد الفراغ من الصلاة، فلا يهتم به ما لم يتيقن أنه ترك.

الرابعة: أن يكون الشك في أثناء الصلاة وكان شكًا حقيقيًا، ليس وهمًا ولا وسواسًا، فلا بد عليه أن يأتي بالركن المتروك ثم يسجد سجدتين للسهو، فإن شك هل ركع أو لم يركع ؟ فيجب عليه أن يركع لأن الأصل عدم الركوع ثم يسجد سجدتين للسهو.

أما إذا شك فلم يدر كم صلى فليبن على ما استيقن ثم يسجد سجدتين للسهو، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا شك أحدكم في صلاته فلم يدر كم صلى أثلاثًا أم أربعًا، فليطرح الشك وليبن على ما استيقن، ثم يسجد سجدتين قبل أن يسلم، فإن كان صلى خمسًا شفعن له صلاته، وإن كان صلى تمام الأربع كانت ترغيمًا للشيطان». (أخرجه مسلم).

٦- كيفية الإخلال الواقع في الصلاة:

إعداد المستشار / أحمد السيد علي

١- الإخلال الواقع في ركن القيام:

ذكرنا أنه يجب على المسلم القيام في صلاة الفريضة دون النافلة، إذ أن النافلة لا يشترط لها القيام لقوله ﷺ في الحديث الذي أخرجه البخاري: «إن صلى قائمًا فهو أفضل، ومن صلى قاعدًا فله نصف أجر القائم، ومن صلى نائمًا نصف أجر القاعد». ولفعله ﷺ فقد كان يصلي النافلة على راحلته في السفر، فلو ترك الإمام القيام في صلاة الفريضة بغير عذر بطلت صلاته وصلاة من خلفه، فإذا قدر أنه منحني الظهر فإنه يقف ولو كراكع، ولا يسقط عنه القيام، لأن هذا هو قيامه، لأن القيام في الحقيقة يعتمد على انتصاب الظهر وانتصاب الرجلين فإذا فات أحد الانتصابين وجب الآخر.

٢- الإخلال الواقع في ركن تكبيرة الإحرام

يكون ذلك الإخلال على الصور الآتية:

أ- أن يترك تكبيرة الإحرام متعمدًا، فتبطل صلاته وصلاة من خلفه، أو يتركها ناسيًا أو جاهلاً فيذكره المأموم فلا يعود إليها ويأتي بها.

ب- أن يستبدلها بلفظ آخر مثل الله أعظم أو ما أشبه ذلك.

جـ- أن يخطئ فيها خطأ يغير معناها كما سبق أن ذكرنا عند الكلام عن أركان الصلاة.

٣- الإخلال الواقع في ركن قراءة الفاتحة:

قبل الكلام عن صور الإخلال لابد أن نعرض للآتي:

أولاً: وجوب قراءة الفاتحة في الصلاة للقادر على قراءتها؛ وذلك للأدلة الآتية:

١- عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب». [رواه البخاري ومسلم]. فقوله: «لا صلاة»

نفي، والأصل في النفي أن يكون نفيًا للوجود فإن لم يكن فهو نفي للصحة، ونفي الصحة نفي للوجود الشرعي، فإن لم يكن فنفي الكمال، فهذه مراتب النفي، فمثلاً إذا قلت: لا واجب الوجود إلا الله، فهذا نفي للوجود، لا يوجد شيء واجب الوجود إلا رب العالمين، وكذلك لا خالق إلا الله، وإذا قلت: لا صلاة بغير وضوء، فهذا نفي للصحة، وإذا قلت: لا صلاة بحضرة الطعام فهو نفي للكمال، فقوله ﷺ: «لا صلاة» نفي للصحة، فمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب وهو قادر على قراءتها فصلاته غير صحيحة.

٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم الكتاب فهي خداج، فهي خداج، فهي خداج غير تمام». [رواه الترمذي وصححه الالباني]. والخداج، بكسر الخاء النقصان.

٣- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «أمرنا أن نقرأ بفاتحة الكتاب وما تيسر». [رواه أبو داود وصححه الألباني].

اعترض البعض على أصحاب هذا القول وقالوا: إن الصلاة تجزئ بدون فاتحة الكتاب مع الإساءة ولا تبطل صلاته، بل الواجب مطلق القراءة وأقله ثلاث آيات قصار أو آية طويلة، واستدل بالآتي:

أ- بقوله تعالى: «فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ» [المزمل: ٢٠]، قالوا: فهذا يدل على أن الواجب أن يقرأ أي شيء تيسر من القرآن.

ب- وبقوله ﷺ للمسيء في صلاته: «ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن». قالوا: قوله ﷺ يدل على التخيير بين قراءة الفاتحة وغيرها.

د- حملوا حديث عبادة: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب» على نفي الكمال لا على نفي الحقيقة، فمعناه: لا صلاة كاملة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب، ومن ثَمَّ تصح الصلاة مع الكراهة.

هـ- قالوا: حديث أبي هريرة: «فهي خداج» أي: ناقصة، وهذا يدل على جوازها مع النقصان، لأنها لو لم تكن جائزة لما أطلق عليها اسم النقصان، لأن إثباتها ناقصة ينفي بطلانها، إذ لا يجوز الوصف بالنقصان للشيء الباطل الذي لم يثبت منه شيء.

الرد على هذا الاعتراض:

أ- الرد على الاستدلال بالآية: بأن الآية جاءت مجملة مطلقة، وقد بينت النصوص أنه لا بد من قراءة الفاتحة فيحمل هذا المجمل المطلق على المبين المقيد وهو قراءة الفاتحة، ثم إن الغالب أن أيسر ما يكون من القراءة قراءة الفاتحة، لأنها تقرأ كثيرًا في الصلوات الجهرية فيسمعها كل أحد، وهي تكرر في كل صلاة جهرية مرتين بخلاف غيرها من القرآن.

ب- الرد على الاستدلال بقوله ﷺ: «ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن»:

قال النووي رحمه الله: قوله: «ما تيسر» محمول على الفاتحة فإنها متيسرة، أو على ما زاد من الفاتحة بعد أن يقرأها، أو على من عجز عن الفاتحة. اهـ. كما أنه جاء في رواية رفاعة بن رافع تفسير ما تيسر بالفاتحة فقد قال ﷺ للمسيء في صلاته: «ثم اقرأ بأم القرآن وبما شاء الله أن تقرأ». [اخرجه ابو داود وحسنه الألباني].

د- الرد على استدلالهم بحديث عبادة:

أن النفي نفي الصحة لأن الحديث عام لم يستثن منه شيء، والأصل في النصوص العامة أن تبقى على عمومها فلا تخصص إلا بدليل شرعي، إما نص أو إجماع أو قياس صحيح، ولم يوجد واحد من هذه الثلاثة بالنسبة لعموم قوله: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب».

د- الرد على استدلالهم بقوله ﷺ: «فهي خداج»:

فالنقص هنا يبطل ويفسد الصلاة، ولا يجيزها مع الإثم، كما أن مواظبة النبي ﷺ على قراءة الفاتحة وعدم تركها بحال من الأحوال يدل على بطلان الصلاة لمن تركها بغير عذر، فعن أبي قتادة أنه قال: «كان رسول الله ﷺ يصلي بنا فيقرأ في الظهر والعصر في الركعتين الأوليين بفاتحة الكتاب وسورتين، ويسمعنا الآية أحيانًا وكان يطول في الركعة الأولى من الظهر، ويقصر الثانية وكذلك في الصبح». [رواه مسلم]. وفي رواية: «ويقرأ في الركعتين الأخريين بفاتحة الكتاب».

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

الإيمان بالكتب

إعداد: د/ محمد بن عبدالرحمن الجهني

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فهذه مباحث فيها بيان الإيمان بالكتب، وهو أحد أركان الإيمان، تشتمل على بيان معناه وأحكامه وآدابه وتفصيل بعض مفرداته، ننشرها بالمجلة على حلقات متتالية بإذن الله تعالى:

المراد بالكتب

الكتب: جمع كتاب، والكتاب لفظ عربي مشتق من الفعل «كتب»، والكاف والتاء والباء أصل في لغة العرب لمعنى ضمِّ الشيء بعضه إلى بعض، تقول العرب: تكتَّب الرجل، إذا حزم ثيابه عليه وضم بعضها إلى بعض، وتسمي العرب الخياطة كتابة لأن الثوب يضم بعضه إلى بعض بها، ومنه «الكتيبة» سميت بذلك لأنها تضم جماعة من الجنود. [مقاييس اللغة ٥ / ١٥٨].

ومنه سمي الكتاب كتابًا، لأن مباحثه وأبوابه جمعت وضم بعضها إلى بعض فيه بالكتابة.

فالمقصود بالكتب في قول الشرع: «الإيمان بالكتب» على هذا الأصل اللغوي هو: ما جمع وضم في كتاب مما أنزله الله على أنبيائه، وظاهر حديث أبي ذر الذي فيه سؤال النبي ﷺ: «كم كتابًا أنزل الله؟» قال ﷺ: «أنزل مائة وأربع كتب». إن صح الحديث - وهو لم يصح - أن هذا هو المراد.

ولكن قد يكون المراد بالكتب جميع ما أنزل الله من وحيه على رسله سواء جمع في كتاب أم لا، ويكون التعبير بالكتب من باب ذكر الخاص وإرادة العام، ومن التعبير بالجزء عن الكل، لأن الذي في أصول الإيمان وجوب الإيمان بجميع ما أنزل الله على الأنبياء، ومعلوم أنه ليس كل نبي معه كتاب، قال الله: «قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ» [البقرة: ١٣٦]. فجعل الإيمان إيمانًا بجميع ما أنزل إلى المؤمنين على الأنبياء، وبجميع ما أوتوه، فهذا هو أصل الإيمان في هذا الباب، فيكون ذكر الكتب على الوجه الذي ذكرنا، وقد قال سبحانه: «الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ» [غافر: ٧٠]. فذكر «الكتاب» وهو اسم جنس لكتب الله، وذكر معه «ما أرسلنا به رسلنا» أي: من الوحي وسائر الآيات.

المراد بالإيمان بالكتب

معلوم من دلالات نصوص الوحيين، وهو أحد أصول أهل السنة، أن الإيمان قول القلب واللسان والجوارح، والإيمان بالكتب يجري على هذه الثلاث، فهو إيمان القلب واللسان والجوارح بالكتب، أما صورة إيمان القلب بالكتب فهي:

اعتقاده أنها منزلة من عند الله، وهي كلامه ووحيه لأنبيائه، منه بدأت، ليست من إنشاء الرسل.

واعتقاد أنها تضمنت مراد الله من خلقه اعتقادًا وشريعة وسلوكًا.

واعتقاد وجوب العمل بمقتضاها وتعبد الله به.

وأما صورة إيمان اللسان فهي: الإقرار بذلك الذي اعتقده القلب، والإخبار عنه، والشهادة به.

وأما صورة إيمان الجوارح فهي: امتثالها أوامر الله في كتبه، وكفها عن نواهيها، وتأدبها بآدابها.

▫▫ تسميات الكتب ▫▫

أطلق الله على كتبه أسماءً متنوعة الألفاظ، كل لفظ يدل على معنى جليل هو من صفاتها، وهذا عرضٌ لذلك:

- أما تسميتها بالكتب، فتقدم ذكر معناه، ووروده كثير في كتاب الله، منه قوله سبحانه: «آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ» [البقرة: ٢٨٥].

وسماها الله بـ «الكتاب» وهو على الجنس، كما في قوله: «وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ» [البقرة: ١٧٧].

وسمى كتبه «الزبر»، كما في قوله: «وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ» أي: ذكر القرآن في كتب الأنبياء السابقين، و«الزبر» جمع زبور، وقد سماها الله «زبورا» على الجنس في قوله سبحانه: «وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ» [الأنبياء: ١٠٥] أي: في كتب الأنبياء بعد أم الكتاب.

وهو مشتق من الفعل «زبر»، وهو في اللغة لثلاثة أصول من المعاني:

١- بمعنى أحكم وأتقن، تقول: زبر الكاتب الكتاب إذا أتقنه وأحكمه، فيكون معنى تسمية كتب الله به على هذا الأصل: أنها محكمة الألفاظ والمعاني.

٢- بمعنى حبس وزجر، تقول: زبر الوالد ولده، أي: حبسه وزجره، فيكون معنى تسمية كتب الله به على هذا الأصل: أنها تحبس الناس عن معصية الله وتزجرهم عنها.

٣- بمعنى كتب، وبمعنى قرأ، فيكون معنى تسمية كتب الله به على هذا الأصل: أنها تكتب وتقرأ. [معجم مقاييس اللغة ٣ / ٤٤]. وهذه المعاني جميعها حق في كتب الله، فيحمل معنى تسميتها «زبراً» عليها جميعها مجتمعة.

- وسمى الله كتبه «صحفاً» كما في قوله: «أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى» [طه: ١٣٣].

وهو مشتق من الفعل: «صحف»، وهو في اللغة يدل على الانبساط، ومنه الصَّحفة وهي القصعة يبسط فيها الطعام للأكل، فيكون معنى تسمية كتب الله به على هذا: أنها تُبسط وتُنشر لقراءتها، ووردت أسماءً أعلام على آحاد كتب الله خاصة بكل واحد منها سيأتي ذكرها عند التفصيل إن شاء الله.

▫▫ حكم الإيمان بالكتب ▫▫

الإيمان بالكتب واجب، بل هو من آكد الواجبات، وقد وردت الأدلة في الشرع تقرر وجوبه من وجوه عديدة، منها:

١- الإخبار عن كتب الله أنه أنزلها على رسله، وهذا الخبر واجب الإيمان به لأنه خبر الرب سبحانه والجحود به كفر، ومن أمثلة هذا الإخبار: قوله سبحانه: «كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ» [البقرة: ٢١٣]، فأخبر أنه أنزل مع النبيين كتباً بالحق، ومنه قوله: «لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ» [الحديد: ٢٥]، ونحو هذا كثير.

٢- الأمر المباشر بالإيمان

بالكتب، ومنه قوله: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّه وَرَسُولِه وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِه وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ» [النساء: ١٣٦]، فأمر بالإيمان بكتب الأنبياء جميعًا، ومنه قوله: «قُولُوا آمَنَّا بِاللَّه وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ» [البقرة: ١٣٦]، ونحو هذا كثير.

٣- إخباره سبحانه بأن الإيمان بالكتب من البر، قال سبحانه: «لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّه وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ» [البقرة: ١٧٧]، والبر من الأسماء الجامعة لما يحبه الله ويرضاه.

٤- إخباره سبحانه أن النبي والمؤمنين يؤمنون بالكتب في معرض الثناء عليهم وتسجيل صفات الإيمان لهم التي بها يستحق العبد صفة الإيمان وحكمه، قال سبحانه: «آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّه وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّه وَمَلائِكَتِه وَكُتُبِه وَرُسُلِه لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِه» [البقرة: ٢٨٥]، وقال سبحانه في صفات المتقين: «وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ» [البقرة: ٤]، وقال في مدح مريم عليها السلام بعد أن ضربها مثلاً للذين آمنوا: «وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِه» [التحريم: ١٢]، ونحو هذا.

٥- إخباره سبحانه بأن تكذيب المكذبين وكفرهم إنما كان لجحودهم بالكتب، فمن جحد بالكتب كفر وخرج من الملة، فظهر ملازمة وجوب الإيمان بالكتب للإيمان، قال سبحانه: «فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ» [آل عمران: ١٨٤]، وقال سبحانه: «وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ» [فاطر: ٢٥]، أي: جاءتهم الرسل بالكتب ولكنهم كذبوا بها.

٦- إخباره سبحانه بأن الكفر بالكتب ضلال بعيد، قال سبحانه: «وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّه وَمَلائِكَتِه وَكُتُبِه وَرُسُلِه وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيدًا» [النساء: ١٣٦]، فوصف من كفر بالكتب بأنه «قد ضل»، وقد للتحقيق، ثم لم يكتف بهذا حتى أكده بالمصدر، فقال: «ضلالاً»، ثم لم يكتف بهذا حتى أكد المصدر بوصفه فقال: «بعيدًا»، وهو دليل مقرر لكون الإيمان بالكتب واجب.

٧- إخباره سبحانه عن جزاء المكذبين بالكتب، قال سبحانه: «الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِه رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٧٠) إِذِ الأَغْلالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلاسِلُ يُسْحَبُونَ (٧١) فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ» [غافر: ٧٠-٧٢]، وفي هذا دلالة على وجوب الإيمان بالكتب.

منزلة الإيمان بالكتب من الدين:

مما تقدم ذكره من وجوه دلالات النصوص،قام البرهان على وجوب الإيمان بالكتب ولذلك كان الإيمان بالكتب من أركان الإيمان، فهو ركن في الدين لا يقوم إلا به، وقد عده النبي ﷺ في أركان الإيمان، كما في حديث جبريل عليه السلام حين سأل النبي ﷺ:... فأخبرني عن الإيمان؟ قال ﷺ: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله». الحديث. [أخرجه مسلم ١ / ٣٦ رقم ١].

وقد عده الله سبحانه من أركان الإيمان في آيات منها آية البقرة: «كُلٌّ آمَنَ بِاللَّه وَمَلائِكَتِه وَكُتُبِه وَرُسُلِه» [البقرة: ٢٨٥].

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

من محبطات الأعمال

«أذى الجار»

إعداد/ عبده الأقرع

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيد المرسلين وإمام المتقين، نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فمع المحبط السادس للأعمال وهو: «أذى الجار»:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: نزل بالنبي ﷺ أضيافٌ من البحرين فدعا النبي ﷺ بوضوئه فمسحوا منه وجوههم ورءوسهم وصدورهم، فقال لهم النبي ﷺ: «ما دعاكم إلى ذلك ؟» قالوا: حُبُّنا لك، لعل الله يحبنا يا رسول الله، فقال ﷺ: «إن كنتم تريدون أن يحبكم الله ورسوله فحافظوا على ثلاث خصال: صدق الحديث، وأداء الأمانة، وحسن الجوار، فإن أذى الجار يمحو الحسنات كما تمحو الشمس الجليد». [الصحيحة ٢٩٩٨].

فقد شاع بين ضعاف النفوس الإساءة إلى الجار ومضارته، وتناسى الكثير حقوق الجار وعظم حقه.

وأن الله تعالى قد أوصى بالجار من فوق سبع سماوات، فقال تعالى: «وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا» [النساء: ٣٦].

وتناسى الكثير أن إيذاء الجيران من مبطلات الأعمال الصالحة ومحبطات أجرها وثوابها كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى، فقال رسول الله ﷺ: «فإن أذى الجار يمحو الحسنات كما تمحو الشمس الجليد».

وعظم الإسلام حق الجار

عن ابن عمر وعائشة رضي الله عنهم قالا: قال رسول الله ﷺ: «ما زال جبريل عليه السلام يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه». [متفق عليه].

وعن رجل من الأنصار قال: خرجتُ مع أهلي أريدُ النبي ﷺ، وإذا أنا به قائم، وإذا رجلٌ مقبل عليه، فظننت أن لهما حاجة، فجلست، فوالله لقد قام رسول الله ﷺ حتى جعلت أرثي له من القيام، ثم انصرف، فقمت إليه، فقلت: يا رسول الله، لقد قام بك هذا الرجل حتى جعلت أرثي لك من طول القيام. قال: «أتدري من هذا ؟» قلت: لا. قال: «ذاك جبريل ﷺ ما زال يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه، أما إنك لو سلمت عليه لرد عليك السلام». [صحيح الترغيب: ٢٥٧٢].

ونفى رسول الله ﷺ الإيمان عن الذي لا يأمن جاره شره: فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن». قيل: من يا رسول الله ؟ قال: «الذي لا يأمن جاره بوائقه». [متفق عليه].

وعن أبي شريح الكعبي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن». قيل: يا رسول، لقد خاب وخسر، من هذا ؟ قال: «من لا يأمن جاره بوائقه». قالوا: وما بوائقه ؟ قال: «شره». [صحيح الجامع: ٧١٠٢].

والذنب يعظم إذا ارتكب في حق الجار ويضاعف إثم صاحبه

عن المقداد بن الأسود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «ما تقولون في الزنا؟» قالوا: حرامٌ، حرّمه الله ورسوله، فهو حرام إلى يوم القيامة، فقال رسول الله ﷺ: «لأن يزني الرجل بعشرة نسوة أيسر عليه من أن يزني بامرأة جاره».

قال: «ما تقولون في السرقة؟» قالوا: حرّمها الله ورسوله فهي حرام، قال: «لأن يسرق الرجل من عشرة أبيات، أيسر عليه من أن يسرق من بيت جاره». [رواه أحمد ٦ / ٨].

وبين ﷺ أن حسن الجوار يعمر الديار، ويزيد في الأعمار

عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «صلة الرحم، وحسن الخلق، وحسن الجوار يعمرن الديار، ويزدن في الأعمار». [صحيح الجامع:٣٧٦٧].

وجعل ﷺ الإحسان إلى الجار عنوان الإيمان

عن أبي شريح الخزاعي رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليحسن إلى جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيرًا أو ليسكت». [مسلم ٤٨].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من يأخذ عني هذه الكلمات فيعمل بهن أو يعلم من يعمل بهن؟» فقال أبو هريرة: قلت: أنا يا رسول الله. فأخذ بيدي فعد خمسًا، فقال: «اتق المحارم تكن أعبد الناس، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس، وأحسن إلى جارك تكن مؤمنًا، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلمًا، ولا تكثر الضحك، فإن كثرة الضحك تميت القلب». [صحيح الجامع: ١٠٠].

وجعل ﷺ عدم أذية الجار عنوان الإيمان أيضًا

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا يؤذ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيرًا أو ليسكت». [متفق عليه].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه، ولا يدخل الجنة حتى يأمن جاره بوائقه». [صحيح الترغيب: ٢٥٥٤].

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن من أمنه الناس، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر السوء، والذي نفسي بيده لا يدخل الجنة عبدٌ لا يأمن جاره بوائقه». [صحيح الترغيب: ٢٥٥٥].

وفي هذا دليل على تحريم العدوان على الجار، سواء كان ذلك بالقول أو بالفعل، أما بالقول فأن يسمع منه ما يزعجه ويقلقه، وإن من شر ما ابتلي به الجيران من جيرانهم رفع صوت المسجل والتلفاز، فإن هذه الأصوات العالية تشوش على المصلي، وتؤذي الطالب، وتزعج المريض، وهذا لا يحل.

وهل المؤمنُ إلا من أمنهُ الناس على دمائهم وأموالهم وأعراضهم، وهل الإيمان إلا من الأمن؟ فإذا كان الجار لجاره حربًا، وعليه ضدًا فكيف يكون من المؤمنين الذين أخلصوا دينهم لله؟ لقد كان الواجب عليه أن يتفقد أمور جاره، ويساعده بكل ما استطاع، ويعمل على جلب الخير له ودفع ما يضره، حتى يكون في عيشة راضية وحياة طيبة، كما يعمل بعض الجيران المحسنين الذين يألفون ويؤلفون.

ومن الأذية بالقول أن تؤذيه بالسب وغير ذلك فإن ذلك يحبط الأعمال.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رجلٌ: يا رسول الله، إن فلانة يذكر من كثرة صلاتها وصدقتها وصيامها، غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها.

قال: «هي في النار». قال: يا رسول الله، فإن فلانة يذكر من قلة صيامها وصدقتها وصلاتها وأنها تتصدق بالأثوار من الأقط، ولا تؤذي جيرانها بلسانها. قال: هي في الجنة. [صحيح الترغيب: ٢٥٦٠].

الأثوار: جمع ثور وهي القطعة من الأقط.

الأقط: هو شيء يتخذ من مخيض اللبن الغنمي.

فاصبر على جارك السوء وصابر واحذر أن يضيق صدرك عليه فتؤذيه بلسانك فيحبط عملك.

وأما بالفعل فيكون بمضايقته في بناء أو ممر أو بميزاب يصب عليه، أو بقذر أو وسخ تلقيه أمام منزله، أو إغلاق الباب دونه.

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «كم من جار متعلق بجاره يقول: يا رب، سل هذا: لم أغلق عني بابه ومنعني فضله». [صحيح الترغيب: ٢٥٦٤].

فاحذر كل الحذر أن تؤذي جارك بقول أو فعل.

وحسبك أن شهادة جارك بالخير من أسباب مغفرة الذنوب

قال ﷺ: «ما من مسلم يموت فيشهد له أربعة من أهل أبيات جيرانه الأدنين أنهم لا يعلمون عنه إلا خيرًا، إلا قال الله تبارك وتعالى: قد قبلت قولكم، أو قال: شهادتكم، وغفرت له ما لا تعلمون». [أحمد ٣ / ٢٤٢].

ويعرف المسلم نفسه إذا كان قد أحسن إلى جيرانه، أو أساء إليهم.

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رجلٌ للنبي ﷺ: يا رسول الله، كيف لي أعلم إذا أحسنتُ أو أسأتُ؟ فقال النبيُّ ﷺ: «إذا سمعت جيرانك يقولون: قد أحسنت، فقد أحسنت، وإذا سمعتهم يقولون: قد أسأت؛ فقد أسأت». [صحيح الجامع: ٦١٠].

فينبغي للجار أن يتعاهد جاره بإهداء ما تيسر، وبداءته بالسلام والصفح عن زلاته، وإظهار البشر له، وعيادته وتعزيته عند المصيبة وتهنئته بما يفرحه، ويستر ما انكشف له من عورة، ويغضُّ بصره عن محارمه، ويمنع أولاده وأهله من أذية أولاد جاره وأهلهم.

ويعمل كل ما فيه نفعٌ لهم ويقدر عليه، ويدفع عنهم ما يضرهم ما استطاع.

فبهذه الأشياء تقع بإذن الله الألفة والمحبة، وبها تحصل المودة ويصبحُ المرء بين جيرانه محبوبًا موقرًا يتفقدونه إذا غاب ويسألون عنه.

وحسب المسلم أن الصبر على أذى الجار يجلب لصاحبه محبة الله ورسوله ﷺ: فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ يشكو جاره، فقال له: «اذهب فاصبر».

فأتاه مرتين أو ثلاثًا، فقال: «اذهب فاطرح متاعك في الطريق»، ففعل، فجعل الناس يمرون ويسألونه، فيخبرهم خبر جاره، فجعلوا يلعنونه: فعل الله به وفعل، وبعضهم يدعو عليه، فجاء إليه جاره فقال: ارجع فإنك لن ترى مني شيئًا تكرهه. [البخاري في الأدب المفرد: ١٢٤].

عن مطرِّف - يعني ابن عبد الله - قال: كان يبلغني عن أبي ذر حديثٌ، وكنت أشتهي لقاءه، فلقيته، فقلت: يا أبا ذر، كان يبلغني عنك حديثٌ، وكنت أشتهي لقاءك. قال: لله أبوك، لقد لقيتني فهات، قلت: حديثٌ بلغني أن رسول الله ﷺ حدثك، قال: «إن الله عز وجل يُحب ثلاثة ويبغض ثلاثة». قال: فما إخالني أكذب على رسول الله ﷺ. قال: فقلت: فمن هؤلاء الثلاثة الذين يحبهم الله عز وجل؟ قال: «رجل غزا في سبيل الله صابرًا محتسبًا فقاتل حتى قُتل، وأنتم تجدونه عندكم مكتوبًا في كتاب الله عز وجل». ثم تلا: «يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ» [الصف: ٤]، قلت: ومن؟ قال: «رجل كان له جار سوء يؤذيه فيصبر على أذاه حتى يكفيه الله إياه بحياة أو موت». [صحيح الترغيب: ٢٥٦٩].

وعن عبد الرحمن بن أبي قراد قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أحببتم أن يحبكم الله تعالى ورسوله فأدوا إذا ائتمنتم، واصدقوا إذا حدثتم، وأحسنوا جوار من جاوركم». [صحيح الجامع: ١٤٠٩].

قال ابن عبد البر: ثلاثٌ إذا كن في الرجل لم يشك في عقله وفضله: «إذا حمده جاره وقرابته ورفيقه».

فاطلب لنفسك جيرانًا تسرُّ بهم لا تصلح الدار حتى يصلح الجارُ.

وحسبك قول ابن مسعود رضي الله عنه لرجل أتاه وقال له: إن لي جارًا يؤذيني ويشتمني ويضيق عليَّ. فقال له: اذهب فإن عصى الله فيك فأطع الله فيه.

وقول الحسن: ليس حسن الجوار كف الأذى، ولكن حسن الجوار احتمال الأذى. [جامع العلوم والحكم ص١٢١].

وللحديث بقية إن شاء الله.

الآن

سارع بحجز نسختك من المجلد الجديد

موسوعة علمية

لا تخلو منها مكتبة - ويحتاج إليها كل بيت

المجلد الجديد بمقر مجلة التوحيد

لعام ١٤٢٩هـ

الآن أصبحت ٣٧ مجلدا من الموسوعة

والآن الكرتونة الكاملة من موسوعة مجلدات التوحيد فقط بـ ٦٨٠ جنيها

وخارج مصر ٢٣٠ دولار

دار ابن الجوزي

تقدم لكم مفاجأة معرض القاهرة الدولي لعام 2009 م 1430هـ
تهدي إلى طلاب العلم في جميع انحاء العالم بعد طول انتظار

تفسير الطبري

جامع البيان عن تأويل آي القرآن

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري
٢٢٤-٣١٠هـ

حققه وعلق حواشيه
محمود محمد شاكر

راجعه وخرج أحاديثه
أحمد محمد شاكر

لو ذهب الرجل إلى الصين ليحصل على تفسير الطبري
لم يكن ذلك كثيرا [أبو حامد الإسفرايني]

في
سبعة وعشرين
مجلدا

أكملها مجموعة ماهرة في تحقيق التراث حرصوا أن يضبطوا النص على نفس المخطوط الذي اعتمده الشيخان أحمد شاكر ومحمود شاكر وغيره فيما نقص منه ، وقابلوا النص على كتب التفسير التي نقلت عن تفسير الطبري والطبعات المحققة له ، وأضيفت الحواشي بتخريج الأحاديث والآثار ودراسة أسانيد الطبري وأحوال رجاله ، وبعزو نقول الطبري من كتب اللغة ، وبتخريج الأشعار والقراءات القرآنية والألفاظ الغريبة ، وبترجمة الأعلام والأماكن والبلدان.

احجز نسختك من الان

فقط اتصل علي رقم 0020225061621 0020225061903

يوجد لدينا وكلاء توزيع في انحاء الجمهورية وجميع انحاء العالم

دار بن الجوزي للطبع والنشر والتوزيع القاهره- درب الأتراك خلف الجامع الأزهر تليفون
فاكس: 0020225061620 جوال 0020103350697
E-mail:DAR_EBNELGAWZY@YAHOO.COM